مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية /المجلد ٢٥/ العدد٤ :٢٠١٧

بلاغة الخطاب الإقناعي قراءةٌ في خُطَبِ الإمامِ الحَسَنِ (عليه السلام) في ضوءِ أساليبِ الحجاج

وسام حسين جاسم

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) / قسم علوم القرآن

Waloubady@yahoo.com

الملخص

يُعدّ الإقناع واحدًا من أبرز الأهداف التي يسعى الدرس البلاغي الحديث المتمثل بالتداولية إلى استجلائه، على أننا لا ننكر اهتمام الأقدمين به، فقد بحثه اليونان القدماء في كتبهم، ولاسيما أرسطو في كتابه (كتاب الخطابة) فقد أرسى معالم الدرس الحجاجي، ومن ثمّ التقطه بلاغيو العرب وعلمائهم فكانت لهم صولة وجولة في ميدان هذا العلم على الرغم من تداخله في شتيتٍ من المعارف المرتبطة فيما بينها برابط الحجاج وإقناع الآخر أو إفحامه تارةً أخرى. وهنا حاول البحث توظيف آليات هذه النظرية البلاغية في تحليل بعض من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) التي تميّزت بالفصاحة العالية والبلاغة الفائقة، مما جعلها مادّة غنية للدرس والتحليل البلاغي على اختلاف توجّهاته وزوايا النظر فيه، فضلاً عن أن البحث كان له غاية أخرى تمثّلت في تركيز الجانب الإقناعي – الذي يتجه إليه الدرس التداولي بصورة عامة– في خطب الإمام الحسن (عليه السلام) الذي حاول الإعلام الأموي تشويه صورته والنيل منه، ومن تلك الأكاذيب المتهافتة أن الإمام الحسن (عليه السلام) لا يجيد إقناع الآخرين. وهنا أثبت الباحث عبر استعراض بعض خطبه تفنيد هذا الزعم الباطل. وفي البحث نتائج أخرى تركها الباحث للقارئ المتأمّل.

الكلمات المفتاحية:الإمام الحسن عليه السلام ،البلاغة، الخطب، الحجاج، الإقناع.

Abstract

Remonstrance considered one of the most accentuated modern western theories which be mixed between deliberative and rhetoric lesson. In addition, this study has been the first mover advantage among sciences. As ancient Greeks searched it in their books. Particularly Aristotle in his book (Rhetoric). He has established a remonstrance lesson. Then he tried to employ mechanisms of this rhetoric theory in analysis of some Imam Hassan's speeches (peace be upon him) that have characterized by the standard language and high rhetoric. Then made it rich material to study and rhetorical analysis on different sides. In addition, this study has another purposes which represented by focusing on persuasion side that deliberative lesson will be oriented in Imam Hassan's speeches (peace be upon him). Al-Amawi media tried to distortion and overcome it through, telling lies as they said "Imam Hassan cannot persuade others". Here the researcher has proved through, showing some speeches that are otherwise the claim untrue. Research contains others results for the reader meditated .

Keywords: the Imam Hassan (as), rhetoric, speeches, pilgrims, persuasion

بسم الله الرحمن الرحيم

– المقدمة

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعدُ فالحديثُ عن أهمية دراسة اللغة من زاوية إدراك الوظيفة الحجاجية فيها، فهو من المهم التطرق إليه؛ لما في هذه الوظيفة من مؤشّر في بنية اللغة، وفي بنية الجمل والأقوال نفسها، فنحن نجدها في الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية، وبتوضيح آخر أن اللغة على اختلاف تشكيلاتها الكتابية تحتوي على طبيعة حجاجية، هذا على الرغم من أننا لا ننفي ظهور هذه الطبيعة من نصٍّ لآخر ومن خطاب لخطاب.

ومن هنا كان للباحث أنْ يقف على مختارات اقتطفها من تراث الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) اللغوي، ليُسلِّط عليه آليات الحجاج المتعارف بحثها في الكتب التي تداولت أفكاره ومن ثم شرعت بتطبيق تلك الآليات على مختلف النصوص شعرية كانت أم نثرية، ومن الدواعي التي دفعتني لاختيار موضوع البحث أمران لا ثالث لهما:

الأول: ثراء الدراسات التي اختصت في الجانب الحجاجي للغة، ولعلّ هذه الثراء متأتٍ من أنَّ الاهتمام بهذا الحقل (اللغوي/ البلاغي) لم يأخذ طابعًا منهجيًّا ذا صفةٍ مستقلّة في مدوّنات علمائنا العرب القدامى، فقد تداخل في ضمن عنوانات متعددة مثل: (الحجاج، الحوار، الجدل، الخصومات، المناظرات،... الخ) ولعل ما وجدناه من محصولٍ لهم في هذا الحقل المعرفي كان تعويلا على مقولات (أرسطو) في كتابه (الخطابة)، فهو إذن من العلوم الوافدة إلينا من الغرب.

الآخر: ثراء التراث اللغوي الغزير لأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) فهو معينٌ لا ينضب للدارسين – على اختلاف مشارب أفكارهم ومناهجهم البحثيّة– فقد اغترفوا ما وسعهم من ذلك التراث الثريّ شكلاً ومضموناً، فكان لي ذلك الأمر مُبتغىً أسعى إلى تحقيقه، موظّفًا في ذلك بعض تلك التقانات الحجاجية التي تأخذ أثرها في تعضيد الإقناع وتقويته في الخطاب وجعله أكثر تأثيرًا على المتلقّي.

والباحث سيقوم بتسليط أدوات الإقناع التي يتوسّل بها في الخطاب، بعد أنْ يوضّح مفهومًا مختصرًا لكلٍّ واحدة منها، ثم يقوم بتحليل النص على وَفْق معطيات الحجاج؛ ليتوصل إلى نتيجةٍ مفادها: أنّ التراث اللغوي الذي وصلنا عن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن مفتقرًا إلى سلطة الحجاج، فهو سليل إمام معصوم وخليفة للمسلمين كان له الأولوية في إظهار حقهم وبيان فضلهم وميزتهم التي أهّلتهم أنْ يدعو الناس إلى الالتفاف حولهم وأن لا يتمسكوا بحبل سواهم من أدعياء الخلافة.

وفي الختام أودّ الإشارة إلى أني اعتمدت على كتاب (جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة) لأحمد زكي صفوت؛ لسعة مقروئيّة هذا الكتاب وتداوله عند الجميع على اختلاف توجّهاتهم المذهبيَّة. ولا أنكر أنّ هناك من المظانِّ ما توفّر على جميع ما قاله أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأفرِد لكل واحدٍ منهم بابٌ أو جزءٌ من تلك الموسوعات، مثل (مسند الإمام الحسن "عليه السلام" للشيخ عزيز الله العطاردي) و(مكاتيب الأئمة) للكاشاني، و(كلمة الإمام الحسن "عليه السلام") إلا أنّها صدرت من علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وقد يُنظر لها بعين السخط من أتباع المدارس الأخرى، فارتضيتُ لنفسي أنْ أمتح من كتاب صفوت المذكور سلفًا للسبب الذي عرضته فيما تقدم. والحمد لله أولاً وآخرًا.

التمهيد:

الإمام الحسن (عليه السلام) خطيبًا: لعلَّ من نافلة القول: إثبات كون الإمام الحسن (عليه السلام) خطيبًا؛ وذلك لما تمتّع به أغلب العرب من قدراتٍ شفاهية جعلتهم يتفاخرون فيما بينهم في الأسواق والأندية والمحافل على اختلاف مناسباتها، وهو أمرٌ أظنه لا يحتاج إلى إثبات وتوثيق، فلسنا نحن الآن في معرض إثبات هذه القضية، بل هي الآن تعدُّ من المسلّمات، أما ما نريد توضيحه، فهو ما له علاقة بالإمام الحسن (عليه السلام) من شائبة إثباته خطيبًا مبرزًا له القدرة على التأثير في سامعيه وجعلهم يميلون إلى ما يطرحه من آراء، وهنا على الباحث أنْ يمهّد لهذه القضية بالمقدمات الآتية:

الأولى: أنّ الإمامَ الحسن (عليه السلام) يمثّل امتدادًا طبيعيًا لسُلالة النبيِّ الكريم (صلى الله عليه وآله) وهذا الامتداد يمرّر من خلاله امتداده الوراثي في الإمام، ومعلومٌ أنَّ النبي يمثّل قمة الهرم في الفصاحة العربية، بدليل قوله: ((**أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ**))[١]، هذا من جانب نقلي، ومن جانبٍ عقلي يتّضح من أنّ القرآن – وهو الكتاب المعجز– لا يفسره ولا يفقه أسراره الإلهية المكنونة، إلا مَنْ خوطب به، ولما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) مباشرًا الوحي الإلهي بنفسه، فمن اللازم أن يترك أثره عليه، وهذا ما أشار إليه بوضوح في قوله في حديث السحابة حين سأله أصحابه: ((**يا رسولَ اللهِ ما أفْصَحَكَ؟! وما رأيْنا الذي هُو أفْصَحُ مِنْكَ، فَقَال: ومَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذلك، وبِلِساني نَزَل القرآنُ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْن**))[٢]، فهو بعد ذلك يمثّل ((أقصى الغايات من الفصاحة حتى كأن الله تعالى شأنه وعزت قدرته محض اللسان العربي وألقى زبدته على لسانه صلّى الله عليه [وآله] وسلم فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل وما من مصقع يناهزه إلا رجع فارغ السجل))[٣]؛ فلا شكّ إذًا أن الوراثة تترك أثرها في ذريته من بعده، وهذا ما يظهر بكل وضوح في جميع إرث ذريته المعصومين (عليه السلام).

الأخرى: يُعدُّ الإمام الحسن (عليه السلام) نجلَ تلميذِ القرآن الأول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولا يخفى على كلِّ ذي لُبٍّ مدى الفصاحة التي تحلّى بها الإمام، وقد استدل السيد الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ) استدلالاً عقليًّا على أنّ القرآن وحيٌ إلهيٌّ، بأنه ((المدرسة الوحيدة التي تخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي يفتخر بفهم كلماته كلُّ عالمٍ نحرير، وينهلُ مِن بحارِ عِلمهِ كلُّ مُحقّقٍ متبحر. وهذه خطبه في نهج البلاغة، فإنه حينما يوجه كلامه فيها إلى موضوع لا يدع فيه مقالا لقائل، حتى ليخال مَنْ لا معرفة له بسيرته أنه قد قضى عمره في تحقيق ذلك الموضوع والبحث عنه، فممّا لا شك فيه أن هذه المعارف والعلوم متصلة بالوحي ، ومقتبسة من أنواره))[٤].

وقد صرّح الإمام علي (عليه السلام) بما وهبه الله من موهبةٍ في الخطاب، فقال مفتخرًا: ((**وإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ**))[٥]، وواضحٌ أن الإمام – وهو في مقام افتخاره بإمارته على الكلام– عبّر بأدقّ التعبير وأوضحه، حين قال بصيغة الجماعة (إنّا) ولم يقل: (أنا) ولو اعترض جاحد بأنه قد يكون هنا تحريف، والصحيح هو: (أنا) لأجبناه أنّ كلامه فيما بعد يُشير إلى خلاف اعتراضه، فقوله: (وفينا.. الخ، وعلينا.. الخ) يدلّ على أنه قصد الجماعة، ولا شكّ أنْ تكون هذه الجماعة هم السلالة الطاهرة للأئمة المعصومين

(عليه السلام)، فقد أثبت التاريخ الذي عاصروه أنهم كانوا على نسقٍ واحدٍ من البلاغة العالية التي جعلتهم مصداقاً واضحًا لوصف الإمام علي (عليه السلام) بأنهم أمراء الكلام، حتى أنَّ أعداءهم كانوا قد شهدوا لهم بهذه الخصيصة، نكتفي بما نقلته المصادر التاريخية عما قاله يزيد بن معاوية، حين طلب منه الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) – وهو في حال أسره بعد فاجعة كربلاء وترحيله وأهل بيته سبايا إلى الشام– أن يرتقي المنبر ويخطب، فقال اللعين بعد أن رضخ لمن في حضرته ممن لا يعرف قدر الإمام في بلاغته أن يسمح له بالحديث: ((**إنْ صعدَ المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يُحسن هذا؟ فقال: إنّه من أهل بيتٍ قد زُقّوا العلم زقّاً**))[٦].

وبعد هاتين المقدّمتين يتّضح جليًّا أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن ببدعٍ عن سلفيه فضلاً عن الأئمة المعصومين الذين تلوه من صلب الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ شهدت له المواقف الكثيرة التي وُضِع فيها – من دون أي ترتيب مسبق منه– أنه ذلك الخطيب المصقع الذي ألهم البلاغة وفصل الخطاب وأوتي مجامع الكلم، فكان في كلِّ ذلك مفحمًا خصماءه، رادًّا حججهم الواهية بأبلغ الحجج، فخطبه – فضلا عن سائر كلامه– ((أروع ما تكون الخطبة، وخاصة عندما يعالج أزمة في أصحابه، أو يقارع طغمة من أعدائه، أي في الموقف الذي تثور فيه عواطفه الجياشة، ويهيج خياله الوهاب، بالنقمة والتذمر، فتعجّ فيها معانٍ مفرقعة، تتتابع بقوة كفرقعات المدافع، وصور حارة من لهيب قلبه، وأوار الأحداث حتى يأتي صلدًا كالجلاميد، مزمجرًا كالرعود، مشرقًا كالبروق))[٧]، إلا أنَّ المُلاحظ في مأثور تلك الخطب وما يحفّها من أجواء تعتيمٍ مارسته السياسة الأموية ضدّ الإمام وخطابه الشريف، فضلاً عن التشويه المتعمّد لسياسته الحكيمة، فما قول بعضهم حِين أَتَاهُ كتاب الإمام الحسن (عليه السلام) عَنْهُمَا يستنصره: ((قد بلونا حسنا وَآل أبي حسن فَلم نجد لَهُم إيالةً [أي: سياسة] فِي الْملك وَلَا صِيَانة لِلْمَالِ وَلَا مكيدةً فِي الْحَرْب))[٨]، إلا دليل على اضطراب الرؤية وتخلخل الوعي في بنية المجتمع الإسلامي إبّان تلك المدة، فحين تُغري السلطة الأموية رجال الدين والقادة بالأموال، فهي إنما تمارس حربها المعلنة على الإسلام وممثليه الأصلاء من أئمة أهل بيت الرسول (عليه السلام) إلا أنّ ذلك لم يمنع الإمام أبا محمد الحسن (عليه السلام) من القيام بوظيفته بتوضيح الحقائق وتجلية الأمور للمسلمين الذين كانوا مغرقين إلى آذانهم بمدٍّ إعلاميٍّ موجه ضده، فيعرّفهم بنفسه تارة، وفي مقابل ذلك تتضح صورة مناوئه، بحسب القاعدة (الأشياء تتميز بأضدادها)، وتارةً أخرى يمارس استشهاداته بالموروث الديني والأدبي الذين يدعّمان موقفه، ويكسران من نقاوة الصورة التي حرص الادّعاء الأموي على تثبيتها في أذهان المجتمع العربي آنذاك.

ونكتفي بثلاثة موارد وقفنا عليها لدلالتها على ما كان يُحاك للإمام الحسن (عليه السلام) من تشويه صورته بين أتباعه ما يأتي:

– رُوي أنه طعنَ أقوامٌ من أهل الكوفة في الحسن بن علي (عليه السلام) فقالوا: إنه عِيٌّ لا يقوم بحُجّة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فدعا الحسن فقال: يا بن رسول الله إنَّ أهل الكوفة قد قالوا فيك مقالةً أكرهها، فأخبر الناس، فقال: يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) إني متخلف عنك، فنادى أنّ الصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون، فصعد المنبر، فخطب خطبة بليغة وجيزة، فضج المسلمون بالبكاء، .... فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من أقصى الناس، يسحب رداءه من خلفه، حتى علا المنبر مع

الحسن (عليه السلام)، فقبّل بين عينيه، ثم قال: يا بن رسول الله أثبتَّ على القوم حجَّتك وأوجبت عليهم طاعتك، فويلٌ لمن خالفك[٩].

وفي هذا الخبر نثبت شهادة أفصح فصحاء العرب بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) أنه حجةٌ في خطابه.

– وفي خبر آخر يذكر أن معاوية بن أبي سفيان بينما هو جالس في أصحابه إذ قيل له: الحسن بالباب، فقال معاوية: إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه، فقال له مروان بن الحكم: ائذن له، فإني أسأله ما ليس عنده فيه جواب، قال معاوية: لا تفعل، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام. وأذن له، فلما دخل وجلس، ... الخ المحاورة التي جرت بينه (عليه السلام) وبين مروان بن الحكم فكانت ثمرتها أن غضب معاوية، وقال: قد كنت أخبرتكم، فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم، وأفسد عليكم مجلسكم[١٠].

– وفي خبر آخر: أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: إن الحسن بن علي قد شمخ أنفا، ورفع رأسا، واشرأبت إليه قلوب الناس بالثقة والمِقَةِ، فلو سألته أنْ يخطُبَ الناس، فإنهُ امرؤٌ حديثُ السنِّ، لم يتعوّدِ الخُطَبَ، فيجتمعُ الناسُ إليه فيُحْصَر، – أي عِيٌّ أصابه لم يَقْدِر بسببه على الكلام– فيكون في ذلك ما يصغره في أعين الناس، فبعث معاوية للحسن وأمره أن يخطب، فلما صعد المنبر وقد جمع له معاوية كهول قريش وشبانها، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وسلم وآله، ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما بين جابلق وجابرس أحد جده نبي غيري، أنا ابن نبي الله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير... الخ[١١].

ومعلومٌ أيضًا قدرةُ خصوم الإمام الحسن (عليه السلام) ومناوئيه على الخطاب ومقتضيات توصيله؛ بما يحتاج إليه من إمكانات واستعدادات قد تضطرَّ صاحبها إلى الكذب والتدليس واستعمال الأقيسة الفاسدة والبرهنة على خلاف المُدّعى وصولاً إلى النتيجة المُصادَرةِ عن مطلوبها، كلُّ ذلك كان عند الخصم القائم على التدجيل وترميم المتهاوي من صرح الباطل، إلا أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان مفنّدًا لتلك الأقاويل، ومزعزعًا كذب مزاعمهم، عبر بيانه الجزل، وصدق دعواه، واستمداده من روح القرآن ما يؤدي غرضه في دحض الأكاذيب ونسفها بمقول الحق.

ويرى الباحث – خلافًا لباحثين آخرين ممّن تصدّى لمضمون هذه الروايات– أنّ هذه الرواية صحيحة المضمون، بمعنى أنّ هذه الشُبَه كانت في زمان الإمام الحسن (عليه السلام) يُطلقها مبغضوه من أنصار معاوية والخوارج، وغيرهم، ولا يستبعد الباحث حجم التشويه الإعلامي المتربص سوءًا بأهل البيت (عليهم السلام) الذي تلاعب بعقول العامة من الناس آنذاك فجعلهم يُصدّقون بما يُلصق زورًا وبهتانًا بحقّ أئمة الحق وسادة الناس آل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين)، بل أكثر من ذلك حين تجد بعض تلك الروايات تُنسب إلى أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم) أو بعض أصحابهم المقرّبين فيها تأكيدٌ لمضمون هذه الفِرْيةِ بحق الإمام الحسن (عليه السلام) فقد روى أبو الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦ هـ) ((عن أبي جعفر محمد بن علي وكان في لسان الحسن بن علي ثقل كالفأفأة)) ثمّ يُعضّد مضمونها بروايةٍ أخرى عن عدّة رواة عن ((مفضل بن صالح عن جابر، قال: كانت في لسان الحسن رتّة، فقال سلمان الفارسي. أتته من قبل عمّه موسى بن عمران عليه السلام))[١٢]. وقد فنّدتِ

الروايات الثلاثة التي نقلناها أوّلاً أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان يتّصف بهذا العيبِ النُطقيِّ الذي يحجب عنه غايته في التبليغ والإقناع وردّ شُبُهات المتخرّصين عليه.

وسنقوم بعرض جملةٍ من الاستراتيجيات الحجاجية التي وظفها الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبه، مشيرين إلى أننا لم نتقصّاها بتفصيل وإسهاب؛ وذلك ما لا يتسعه حدود هذا البحث، وإنما نوكله إلى عملٍ في قابل الأيام إن وفقنا الله (جل جلاله) إليه. ومن تلك الاستراتيجيات التي وقفنا عليها ما يأتي:

– **السلالم الحجاجية:**وهي نظرية كان لـ(ديكرو) فضل في تنضيجها، وفحوى هذه النظرية تنطلق من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين قول الحجة (ق) ونتيجة (ن)، ومعنى التلازم أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة أنّ النتيجة يصرح بها أو تبقى ضمنية[١٣]، ويتضح ذلك في المثال الآتي:

س: ماذا تريد أنْ تفعل اليوم؟

ج: ألا ترى أن الطقس جميل.

فالاستفهام في القول (ج) يمثل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة، وإن لم يقع التصريح بالنتيجة[١٤].

وقد لاحظ (ديكرو) أنّ كثيرًا من الأفعال اللغوية ذات وظيفة حجاجية توجه المتلقي نحو نتيجة معيّنة أو تحول وجهته عنها وأن لهذه الوظيفة علامات، ذلك أنّ القيمة الحجاجية للمقول لا تنتج فقط للمعلومات التي يحملها وإنما يمكن للجملة أن تستعمل عبارات أو صيغًا أسلوبية لإسناد الوجهة الحجاجية للمقول[١٥]، وعلى وفق هذه النظرة يمكن الركون إلى حدّ لمفهوم السلّم الحجاجي بأنه: ((مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية))[١٦]، ويتّسم السُلّم الحجاجي بالسمتين الآتيتين[١٧]:

أ – كُلُّ قولٍ يرد في درجة من السلّم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة "ن".

ب – إذا كان الملفوظ "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أنّ "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها.

ومثال ذلك:

- حصل زيد على الثانوية.
- حصل زيد على الإجازة.
- حصل زيد على الماجستير.

((فهذه الجملة تتضمن حجاجا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنتمي إلى السلّم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي نتيجة مضمرة "الكفاءة العلمية لزيد"))[١٨].

وفي قراءتنا لإحدى خطب الإمام الحسن (عليه السلام) نجد تمثيلاً واضحًا لاستعراض السلالم الحجاجية التي تستهدف البرهنة على صحّة ادّعاء المُرسل وبُطلان دعوى الخصم، ومن ثمّ توجيه آراء المتلقّي – سواء أكان فردًا أم جماعة– إلى حيث الدعوى التي يتبنّى المُرسل طرحها ويسوق الأدلة على صحّتها، وهي قوله (عليه السلام): ((**أيُّها الناسُ إنّا جئنا ندعوكم إلى اللهِ وإلى كتابهِ وسُنّةِ رسولهِ، وإلى أَفقَهِ مَنْ تَفَقّهَ مِنَ المُسلِمِين وأعدلِ مَنْ تَعدِلُونَ، وأفضلِ مَنْ تُفَضّلونَ، وأَوفى مَنْ تُبايعونَ، مَنْ لَمْ يَعِبْهُ القُرآنَ، ولَمْ تَجْهَلْهُ السُنّةُ، ولَمْ تَقْعُدْ به السابِقَةُ، إلى مَنْ قَرَّبَهُ اللهُ تعالى ورسولُهُ قَرابَتَينِ: قرابةَ الدِّينِ وقَرابةَ الرَّحِمِ، إلى مَنْ سَبَقَ الناسَ إلى كُلِّ**

مَأثَرَةٍ، إلى مَنْ كَفى اللهَ ورسولَهُ والناسُ مُتخاذِلونَ، فَقَرَّبَ مِنْهُ وهُم مُتباعِدُون، وصَلَّى مَعَهُ وهُم مُشْرِكُون، وقَاتَلَ مَعَهُ وهُمْ مُنهَزِمُون، وبَارَزَ مَعَهُ وهُمْ مُحْجِمُون، وصَدَّقَهُ وهُمْ يَكذِبُون، إلَى مَنْ لَمْ تُرَدَّ لَهُ ولا تُكافَأُ لَهُ سَابِقَةٌ، وهُو يَسأَلُكُم النَّصرَ، ويَدعُوكُم إلى الحَقِّ، ويَأمُرُكُم بَالمَسِيرِ إلَيه لِتُوازِرُوهُ وتَنْصُرُوهُ عَلى قَومٍ نَكَثُوا بَيْعَتَهُ، وقَتَلُوا أَهلَ الصلاحِ مِنْ أَصحابِهِ، ومَثَّلُوا بِعُمَّالِهِ، وانْتَهَبوا بَيْتَ مَالِهِ، فاشخُصُوا إلَيهِ رَحِمَكُم اللهُ، فَمُرُوا بالمَعرُوف وانْهَوا عَنِ المُنْكَر، واحضُرُوا بِما يَحضُرُ بِهِ الصَّالِحون))[١٩].

تستعرض خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) مصفوفةً – إنْ صحّ الوصف– من الأوصاف تشكّلت عبر اسم التفضيلِ تارةً وعبر الاسم الموصول تارةً أخرى، ومعلومٌ ما لهذه الأوصاف من دلالةٍ تأخذ مساحتها في إقناع الآخر؛ وذلك حين يدعو الإمام (عليه السلام) الآخرين إلى التمسّك والالتفاف حول من تتوافر فيه الصفات التي تؤهله أنْ يكون قائدًا، وهذا الخطاب يستبطن حجّة إقناعية لا يختلف عليها اثنان، وهي اختيار الأصلح، وهنا يأتي الإمام بخطبته بجزئها الأساس المسمى في علم الخطابة بـ(العمود) بأوصاف عدّة تنحصر في شخصٍ واحدٍ لا تتوافر في الآخرين؛ لكي يثبّت الحجّة على الناس التي بموجبها يتم الإقناع، ذلك أنَّ عمود الخطبة يمثل قوام الخطابة وعليه الاعتماد في الإقناع[٢٠]. إذ عوّل الإمام (عليه السلام) في خطبته آنفة الذكر على استعمال (المشهورات) التي لا يخفى أثرها على السامعين في الإقناع، ومن الطبيعي أنْ يرصد الخطيب – بوصفه باثًّا– أهمية هذه المعلومات التي يذكرها لدى السامعين – بوصفهم متلقّين يُطلب استدراجهم ومن ثم تفاعلهم مع الباث– الذين يمتلكون رصيدًا مشتركًا بينهم وبين الخطيب في صحّة ما يطرحه عليهم من معلومات، فالإمام (عليه السلام) يدعو المسلمين في الكوفة إلى اتباع كلِّ من تتوافر فيه الصفات التي تمثّل شروطًا لا يمكن اتباع من لا يتّصف بها.

[اتباع الله وكتابه وسنة رسوله، أفقه من تفقه من المسلمين، أعدل من تعدلون، أفضل من تفضلون، أوفى من تبايعون، من لم يَعِبْه القرآن، لم تجهله السنة، لم تقعد به السابقة، من قرّبه الله تعالى ورسوله قرابتين: قرابة في الدين وقرابة في الرحم، من سبق الناس إلى كلّ مأثرة، من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون، فقُرِّب منه وهم متباعدون، صلى معه وهم مشركون، قاتل مع الرسول وهم منهزمون، من بارز معه وهم محجمون، وصدّق رسول الله وهم يكذبون، إلى من لم تُردَّ له ولا تُكافأ له سابقة]

وقد كرّر الإمام عبر هذه الشروط صيغة اسم التفضيل، كذلك وظّف الأسماء الموصولة، لتُلقي بظلالها الدلالية على الخطاب وتُضفي عليه مزيدًا من التماسك والضبط؛ لتكون مُقدّماتٍ يُشترطُ توافرها في من يدعو إليه، وهو – أي المدعو إليه– من لدن الداعي – وهو الخطيب– رجلٌ لا يختلف عليه الجمهور – المتلقي لخطاب الخطيب– في اجتماع كلِّ هذه الخصال، فهي تُشكّل دافعًا يحفّز الآخرين على أنْ لا يلتفُّوا حول من لم تتوافر فيه الشروط التي ذكرها في هذا الخطاب بوصفها أمورًا متسالمة مشهورة لا يختلف المسلمون على توافرها في شخص الإمام علي (عليه السلام) ومن ثمّ جعل الإمام الحسن (عليه السلام) بعد تقديمه الصفات التي اشترطها للمؤهّل بالاتباع والانقياد خلف رايته، جعل طلبه لهم بأنْ ينصروه، ويقتفوا خُطاه ويأتمروا بأمره وذلك بالقيام إلى الجهاد لينصروه على قومٍ بان فساد أمرهم ظاهرًا بدليل ذكره لهم بأوصاف هي:

[نكثوا بيعته، قتلوا أهل الصلاح من أصحابه، مثّلوا بعُمّاله، انتهبوا بيت ماله]

وكلٌّ هذه الصفات التي اجتمعت فيهم (نكثوا، قتلوا، مثّلوا، انتهبوا) ممّا تسالم المسلمون بإجماعهم على كونها سلبية تعبّر عن خروج مُتّصفها عن الإسلام. وقد استظهر الإمام أبرز تلك الصفات المشينة وهي:

الأولى: النكث وهو الارتداد عن العهد للخليفة الشرعي الذي أمر الله سبحانه وتعالى بموالاته، إذ صرّحت الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾[سورة الفتح: ١٠] .

الثانية: قتل أهل الصلاح من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومشهورٌ لدى المسلمين آنذاك مقتل مالك الأشتر وعمار بن ياسر وعمر بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي وكلٌّ هؤلاء ممّن عُرف بحسن سيرته وصلاحه عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن ثمّ تمسّكهم بمن أوصى به الرسول من خليفةٍ بعد رحيله، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾[سورة الإسراء: ٣٣] إيذانٌ صريح بوجوب قتل القاتل للمسلم ظُلمًا من قبل وليِّه، ومن أولى من الخليفة الشرعي للمسلمين بالأخذ بالقاتل ومن ثم إقامة الحد الشرعي عليه؟

الثالثة: المُثلة بالمقتولين غدرًا من أنصار الإمام علي (عليه السلام) وهنا يؤمئ الإمام إلى التحريم الصادر من رسول الله – بوصفه المصدر الثاني للتشريع– عن النهب والتمثيل بالميت بعد قتله[٢١]. ولمّا كانت المثلةُ حرامًا بالكلب العقور – كما ورد في حديث النبي "صلى الله عليه وآله": " إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"[٢٢] – فكيف بمن يُمثّل بالمسلمين المؤمنين من خيرة أتباع الأوصياء يكون جديرًا بقيادة الأمة الإسلامية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)..؟!

الرابعة: وهي سرقة بيت مال المسلمين، وهو عملٌ محرّم لا يقوم به مسلم. وهو أحد صور الظلم بدليل قوله تعالى عقيب ذكره عقوبة السارق والسارقة:﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾[سورة المائدة: ٣٩]. كلُّ تلك الصفات قد اجتمعت في مَنْ أراد أنْ يقوّض الصرح الإسلامي الصحيح الذي شاده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخليفته من بعده، فهي بمجموعها تُشكل دافعًا وجيهًا يحفّز الآخرين من المسلمين على قتال هذه الفئة وإيقافهم عند حدهم ليرتدعوا عن غيّهم. وبحسب هذه الصفات التي نضّدها خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) بإمكاننا رسم سلم حجاجي بحسب الآتي:

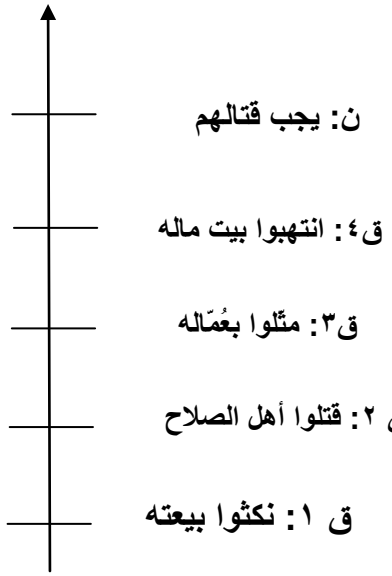

ويكتسب الملفوظ الخطابيُّ الذي طرحه الإمام الحسن (عليه السلام) قيمة حجاجية تؤثر في المتلقي، إذ تـوفّر فيه عنصر التصديق، وهو عنصر يعتمد عليه قبول الخطاب ومن ثم التأثر فيه أو عكسه، وهذا العنصر لا يكـون إلا إذا توقف على أخلاق القائل، وعلى تصيير السامع في حالة نفسيه ما، وعلى القول نفسه مـن حيـث صـدق المعلومات التي يبثُّها فتكون إما ثابتة في الواقع الخارجي فتأخذ حيّزا واسعا في الإقناع، أو لم يثبت، فينتفي الإقناع بانتفاء صدق معلوماته(٢٣).

وفي خطبة أخرى ردّ فيها الإمام الحسن (عليه السلام) على مستنكري الصلح بعد أن حمد الله بقوله: **((لكنـي أُشهِدُ الله وإياكم أنّي لم أُرِدْ بما رأيتم إلا حَقْنَ دمائكم، وإصلاحَ ذاتِ بَيْنِكم، فـاتَّقوا الله، وارضَـوا بقضـاء الله، وسلِّموا لأمرِ الله، والزَموا بيوتكم، وكُفُّوا أيديكم، حتى يستريح بَرٌّ أو يُستراحَ من فاجرٍ))**(٢٤).

يتوسّل الإمام الحسن (عليه السلام) بوصفه مخاطبًا لجموع أنصاره ممّن تظاهر أنه يأبى الجنـوح إلـى السلم ويرى قتال معاوية، بجملةٍ من التقانات الخطابية التي تأخذ أثرها في المتلقي، ومنها – في موضع الشـاهد– إشراك المتلقي بالشهادة بعد الله سبحانه وتعالى أنه لم يختر الصلح إلا لأجل غاية أدركهـا، وهـي تتجلـى فـي محورين لا تتعلق بشخصه إنما تتعلق بالأمة الإسلامية جمعاء، وهما:

الأول: حقن الدماء.

الآخر: إصلاح ذات البين.

وكلا الأمرين الذين تنبّه لهما الإمام الحسن (عليه السلام) يمثّلان رؤيته البعيدة النافذة وراء ما سـتؤول إليه عواقب القتال فيما لو استمرَّ بين المعسكرين، فالدماء التي سيريقها أصحاب الإمام لا تحقّق هـدفها المنشـود المتمثل بإزاحة نظام الجور الأموي، الأمر الذي يسهم في خسارة القيادة الإسلامية مزيدًا من الأتبـاع المخلصـين الذين تربّوا عقائديًا على فكر الإمام علي (عليه السلام) وأبنائه، وفي المقابل ستزاد جبهة الباطل قوة وتمكّنا بعـد إلحاقها الخسائر تلو الخسائر لجيش الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لذا كان اللجوء إلى الصلح* ضربة قاصمة أوقفت المدّ الأموي من أنْ يطمّ تياره كل البلاد الإسلامية، وتوفيره الوقت لإعادة النظر في تعبئة الجيش وشحذ هممهـم القتالية فيما لو أخلّ معاوية بأحد بنود الصلح، فضلاً عما ابتغاه الإمام من فضح ادّعاء معاويـة بتمثيلـه النظـام الإسلامي الحاكم عبر منحه فرصة الصلح التي تمثل اختبارًا لمدى التزام الحاكم بالشريعة الإسلامية، فتحقق للإمام ما أراده. ويمكن لنا أن نوضح ذلك الهدف الذي أسس له مولانا الإمام الحسن (عليه السلام) عبر الترسيمة الآتية:

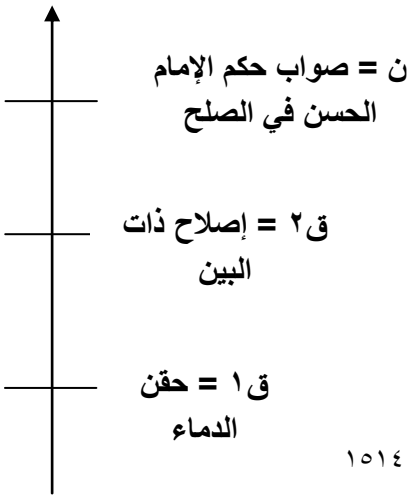

– **تقانة الحجاج بالشاهد:** لا يمكن لأي مؤلف أنْ يستغني عن ظاهرة الاستشهاد في كتاباته، من أجل الدلالة على صحّة أقواله وإقناع متلقّيه، وذلك باستعمال حجج وبراهين مختلفة سواء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر، ((فالاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المُخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات القواد الخالدين في نظر الجماعة المقصودة؛ لأنّ قيمة الشخص المعترف بها سالفًا من قبل السامعين يمكن اعتبارها مقدمة حجاجية))[٢٥].

ومن بين الاستشهادات التي أوردها الإمام الحسن ع هو استشهاده بالقرآن الكريم، فقد ذكر في إحدى خطبه في الحث على الجهاد قوله: ((**أما بعد: فإنَّ اللهَ كَتَبَ الجِهادَ على خَلقِهِ، وسَمّاهُ كُرْهًا، ثُمَّ قالَ لأهلِ الجهادِ مِن المؤمنين: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**[٢٦]، **فلستُمْ أيُّها الناسُ نائلينَ ما تُحِبُّونَ إلا بالصبرِ على ما تَكْرَهُون**))[٢٧].

إنَّ الإمام أشار في المورد الأول إلى وصفٍ ذكره الله تعالى اسمه للجهاد، وهو الكره، وهو في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [سورة البقرة، من الآية ٢١٦] ولم يذكر الإمام الحسن (عليه السلام) الآية بصريح منطوقها، وإنما أشار إليها، وذلك الأسلوب يمثل تعضيدًا للوظيفة الحجاجية في الخطاب، إذ لا يتسنى لأحدٍ أنْ ينكرَ هذا الوصف الذي أشار له الإمام في خطبته، إلا إذا كان خارجًا عن الإسلام بأمارة أنه لم يطلع على القرآن الكريم الذي ذُكر فيه وصف الجهاد في سبيل الله، فلذا جنح الإمام إلى هذا الأسلوب (الإشاري) ليعضّد قضيّتين يمثلان غاية الحجاج وهو الإقناع:

– **الأولى:** إشعار المتلقي المُستهدف من الخطاب بأنّه مسلمٌ مؤمنٌ لا يحتاج إلى التفصيلات والتوضيحات الكثيرة، وهذا مما يُعزز ثقة المُرسل بالمُخاطب بما يحمله من أفكار ومعتقدات ويُصحح ما عليه من دين.

– **الأخرى:** إشعار المتلقي المستهدف من الخطاب بأن المُرسل مؤهّلٌ أن يكون قائدًا لجماعة المسلمين، فمن البدهيات التي تقتضي قبول الآخر (جماعة المسلمين) بالقائد أنْ يكون مُلِمًّا بكتاب الله حافظًا لآياته؛ لكي يُستأمن على أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم، بما حمله من تفقهٍ في كتاب الله. وهذا الأمر قد تحقَّق في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) حين أدار رحى خطبته بأتم ما يديرها خطيب إسلامي يستهدف التأثير في الآخرين وتغيير مواقفهم عبر مفردات خطابه.

ومن تضمينه لآي الذكر الحكيم، قوله (عليه السلام) في إحدى خطبه: ((**الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**))[٢٨]، فضمّن قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ [سورة الرعد: ١٠]

ومعلومٌ أنَّ استشهادَهُ بالآية القرآنية ممَّا يُقوّي إقناع الآخر المتلقي لخطابه، فحين حمد الله ووصفه بأجلِّ الصفات التي تُظهر عظمته خالقًا قادرًا على كلِّ شي، عضّد المعنى بما ذكره سبحانه أنّه متعالٍ عن همم المخلوقين محيطٌ بعباده مُطّلعٌ على سرائرهم، عالمٌ بنواياهم، وهذا يقتضي أنه سبحانه أولى بمعرفة ظاهرهم. وقد أفلح الإمام في توظيف الآية القرآنية؛ لكونه في مقام أقناع جمهوره الذين تتقاسمهم النوازع وتميل بهم الاتّجاهات، فحين

يُذكّرهم بالآية يريد أنْ يوصل لهم رسالة مضمونها يهدف إلى إعادة النظر فيما يضمرونه ويُذكّرهم أنَّ الله لا تخفى عليه خافية نواياهم، مما يشدّهم للالتزام والانقياد قلبًا وقالبًا.

ومن خُطَبِ الإمام الحسن (عليه السلام) التي نستشفُّ عبر التأمُّلِ في ملفوظها ثمّةَ تناصًّا مع نصٍّ حديث الثقلين الذي روتهُ جملةٌ من كتب الفريقين[٢٩]، وذلك في قوله – محل الشاهد– منها: ((**نحن حزب الله المفلحون،[....] وأحدُ الثقلينِ اللذين خلَّفهما رسول الله صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، .... الخ**))[٣٠]، وهذا الشاهد إنّما يُؤكّد بل يُخصّص مضمون حديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))[٣١]، وفي هذا التناصِّ الجليُّ يسعى الباث إلى حشدِ كلِّ يملكه من طاقاتٍ بيانية تُسهم في تحقيق الإقناع لدى المتلقّي؛ ذلك لأن الأخير إنّما تتنازعه خطاباتٌ عدّة لديها إمكانات متفاوتة في تأثيرها عليه، فلا بُد لمن يعمل على تصحيح وجهات النظر من أنْ يُكرّس كلّ تقاناته الخطابية لاسيّما أنّ للإعلام الأموي السطوة في تشويه صورة الإمام الحسن (عليه السلام) في أنظار أتباعه وغيرهم، بوصفه المنافس اللدود لرأس تلك الفئة الباغية على الإسلام؛ فلذا عمد الإمام إلى تدعيم خطابه الصادق بالشاهد النبوي عبر آلية التناص التي تستبطن الحديث وتعمل على توجيهه بطريقة تتناسب والموقف الحافَّ بالحدث.

ومن استشهاداته بالشعر قوله (عليه السلام) مستشهدًا ببيت العباس بن مرداس السلمي[٣٢]:

السِّلمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رضيتَ بِهِ ... وَالْحَربُ يَكْفِيكَ مِنْ أنفاسِها جُرَعُ

ومعنى البيت يتّفق والخيارَ الذي ارتضاه الإمام، ألا وهو الصلح مع معاوية، ولا يذهب الظنّ أنّ الإمام عاجزٌ عن تسويغ قراره السياسي فيلجأ مضطرًّا إلى الشعر، فيستشهد به ويجعله حُجّة لما يقوم به من فعل، وإنّما أراد أنْ يُظهر عبر استشهاده بالشعر أنَّ خياره مرهونٌ بوجود النصرة التي تتكفل بتحقيق النصر، وإلا كان أولى له أنْ يجنح إلى السلم – وذلك يتم عن طريق الصلح– مُبيّنًا أنّ حالة الحرب والقتال لا يتمنّاها كلّ إنسان إلا إذا كان مضطرًّا وكان مقدّرًا أنّ بقيامه بفريضة الجهاد تغيير واقع الأمة، وهنا يأتي الشاهد الشعري معبّرًا عن تجلّيات الذهنية العربية التي طالما ألفت الحروب القبلية إلا أنّها تنشد السلم وتتمنّى حلوله ضيفًا دائمًا، فمهما طال حلول السلم لا يضرّ أحدًا أما الحرب فيكفي منها القليل لإجل تغيير واقعٍ وانتشاله من الوقوع في وهدة ما هو أشد ألمًا.

ومن الأبيات الشعرية التي استشهد بها الإمام الحسن (عليه السلام) في معرض تذكير معاوية بما قاله لأبيه أبي سفيان ينهاه عن الدخول للإسلام، حين شعر أنّ أباه همَّ بأن يعلن إسلامه، بقوله شعرًا[٣٣]:

يا صخرُ لا تُسْلِمَنْ يَومًا فَتَفْضَحَنا ... بعدَ الذين ببَدرٍ أَصبَحوا مِزَقا

خالي، وعمِّي، وعمُّ الأُمِّ ثالِثُهُم ... وحنظلُ الخيرِ قَد أَهدى لَنَا الأَرَقا

لا تَركُنَنَّ إِلى أمرٍ تُكَلِّفُنَا ... والراقصاتُ بهِ في مكّةٍ الخرقا

فالموتُ أهونُ مِنْ قولِ العُداةِ لَقَد ... حَادَ ابنُ حَربٍ عَنِ العُزَّى إذا فَرِقا

ومن الواضح أنّ هذه الأبيات حين يتمّ استدعاؤها في وسط الحضور الإسلامي بعامة وفي حضور المُدّعي للخلافة الإسلامية بخاصّة، إنّما تُمارس تعريةً لمقتضى ادّعائه وتُوقعه في مأزق الوصف بالنفاق، إذ توثّق الأبيات التي استشهد بها الإمام الحسن (عليه السلام) ما كان عليه معاوية قبل أنْ يدخل في الإسلام كُرهًا، وتُظهره بصفة المحرّض لأبيه وأقاربه على أنْ يبقوا معاندين على كفرهم وضلالهم، وفيها أيضًا أنّ معاوية كان من الداعين إلى الحرب على الإسلام، فاستشهاده (عليه السلام) بهذه الأبيات عُدّ ضربة قاصمة للجهاز الإعلامي الذي اشتغل طيلة أعوام لتزيين صورة معاوية في عيون أنصاره، ومن ثمّ تقوم بتوجيه الناس إلى البحث عن عوراته، وفي المقابل تجعلهم يفكرون في صحة دعوى أعدائه، فما دام الخصمُ له يفضحه بكفره وبُعده عن الإسلام قبل اعتلائه منصب الخلافة في الشام، فيتعيّن إذن أنْ يكون أكثر الناس التزامًا بالإسلام وبنصرته؛ وذلك بحكم مقتضى رد فعل المفضوح، إذ بإمكانه – لو وجد مغمزًا في خصمه– أنْ يعرّض به ويجعله مساويا له في المقام.

وفي الخطبة نفسها يلتفت الإمام الحسن (عليه السلام) يستعرض أبيات لعمرو بن العاص[٣٤]:

تقول ابنتي: أين هذا الرحيل	**وما السيرُ مني بمستنكرِ**
فقلتُ: ذريني فإني امرؤٌ	**أريدُ النجاشيَّ في جعفرِ**
لأكويهِ من عنده كيّةً	**أقيمُ بها نخوةَ الأصعرِ**
وشأني أحمدُ من بينهم	**وأقوالهم فيه بالمُنكرِ**
ولا أنثني عن بني هاشمٍ	**وما اسطعتُ في الغيب والمحضرِ**

لا يخفى أنّ مضمون هذه الأبيات يُشير إلى عزم ابن العاص على شدّة وقيعته في المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، حيث أمرهم الرسول بالهجرة إلى الحبشة، ومعلومٌ أنّ الهجرة كانت لأسباب قهرية تتعلق بمدى الظلم الفاحش الذي ألحقه كفار مكة بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وأتباعه من المستضعفين، وهنا يظهر ابن العاص واحدًا من أولئك القائمين على ملاحقة المسلمين واستجلابهم إلى مكة لأجل إيقاع العقوبة بهم، ففي حوارية مفترضة بينه وبين ابنته، يُدلي ابن العاص بما اكتنزه من حقدٍ دفين لجعفر بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان على رأس قائمة المطلوبين من كفّار قريش، ويتمنى أنْ يوقع فيه العقاب – وهو الكيّ بالحديد– لأجل أنْ ينزع منه كبرياءه – كما يدّعي– ويجعله راغمًا تحت إمرتهم، ومن ثمّ يشير في أبياته إلى أمنيته بالظفر بالنبي محمّد (صلى الله عليه وآله) الذي يُمارس – بحسب ادّعائه– تضليل الناس بدعواه، ومن ثمّ يختم بنفيه عدم النكوص عن قتال آل هاشم سواء أكان سرًّا ذلك القتال أم في الظاهر. وهنا – أي حين استشهد الإمام بهذه الأبيات– تسقط أقنعة المقرّب الأثير لدى المُدّعي بالخلافة الإسلامية في عيون الناس، وتُظهره منافقًا لا وشيجة نسب أو سبب تُعلّقُه بعُرى الإسلام. إذن كان لاستشهاده بالشعر تأثير في تدعيم صدق دعواه وفي المقابل تقوم بدحض افتراءات الخصم وجعله مكشوف العورة عقائديًّا بعد أنْ جعله الإمام علي (عليه السلام) مكشوفها جسديًّا في حرب صفين.

وفي شاهدٍ آخر من كلام كان بين الحسن بن علي عليهما السلام وبين الوليد بن عقبة قال له الحسن عليه السلام: ((**لا ألومُكَ أنْ تَسُبَّ عَلِيًّا وقد جَلَدَكَ في الخَمْرِ ثمانينَ سوطًا وقَتَلَ أباكَ صَبْرًا بأمرِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ في يومِ بَدْر، وقَد سَمّاهُ اللهُ عزَّ وجَلَّ في غيرِ آيةٍ مُؤمنًا وسمّاكَ فاسِقًا**[٣٥]، **وقَد قَالَ الشاعرُ فيكَ وفي عَلِيٍّ (عليه السلام):**

أنـــزلَ اللهُ فـــي الكتـــابِ علينـــا	**فـــي عَلـــيٍّ وفـــي الوليـــدِ قُرانـــا**
فَتَبـــوّا الوليـــدُ منـــزلَ كُفْـــرٍ	**وعَلـــيٌّ تَبَـــوّأَ الإيمانـــا**
لـــيسَ مَـــنْ كـــانَ مُؤمنًـــا يعبُـــدُ اللهَ	**كَمَـــنْ كـــانَ فاســـقًا خَوّانـــا**
ســـوف يُـــدعى الوليـــدُ بعـــدَ قليـــلٍ	**وعلـــيٌّ إلـــى الجـــزاءِ عَيانـــا**
فعلـــيٌّ يُجـــزى هنـــاك جنانـــا	**وهنـــاك الوليـــد يجـــزى هوانـــا**))[٣٦]

وفي هذا الاستشهاد الشعري الذي استحضره الإمام الحسن (عليه السلام) استدلالٌ على سببِ عداوة الوليد وبُغضه لعليٍّ (عليه السلام) وبيانٌ يكشف المواقف المناوئة من قِبَل هذا العُتُلِّ الشانئ لوصيّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمن كان على هذا الحال من الخِسّة والوضاعةِ فمن الطبيعي أنْ يصدر منه السوء والفحشاء في القول والفعل. ومن ثمّ كان لها الأثر في إفحام الخصم وإسكاته عبر استحضار مواقفه الكاشفة عن أحواله فيما قبل وأثرها فيما بعد.

– **آلية الاقتضاء:**يحمل الاقتضاء – بوصفه أحد أهم عناصر الحجاج– طاقته الإقناعية التي تقوم بزرع أواصر الثقة في كلام المخاطب لدى المتلقي؛ ذلك لأنَّ الاقتضاء يفترض تعيين النتيجة للمقدمات التي وضعها المخاطب، وقد عرّفه الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) بقوله: ((وَهُوَ الَّذِي لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ، وَلَا يَكُونُ مَنْطُوقًا بِهِ، وَلَكِنْ يَكُونُ مِنْ ضَرُورَةِ اللَّفْظِ إمَّا مِنْ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ كَوْنُ الْمُتَكَلِّمِ صَادِقًا إلَّا بِهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ يَمْتَنِعُ وُجُودُ الْمَلْفُوظِ شَرْعًا إلَّا بِهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ يَمْتَنِعُ ثُبُوتُهُ عَقْلًا إلَّا بِهِ))[٣٧]،وهذا التعريف يلتقي في مفهومه كلٌّ من الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة واللغويين[٣٨].

ومن الخطب الحسنيّة التي برز فيها عنصر الاقتضاء قوله (عليه السلام): ((**الحمد لله لا إله غيره، ولا شريك له**، ثم قال: **إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدى شكره، ولا يبلغهُ قولٌ ولا صفةٌ، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده، ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نخوة وعصمة**))[٣٩]، والمتأمل في نصِّ هذه الخطبة يلاحظ أنَّ ابتداء الإمام بذكر الحمد لله، يمهّد لمفهومٍ الجملة الثانية المعطوفة عليها، فالذي لا إله غيره يكون متوحّدا في ربوبيته ولا يُنافسه إلهٌ آخر يشاركه في القرار، وفي قوله: (**إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدى شكره، ولا يبلغهُ قولٌ ولا صفةٌ**) يتّضح الاقتضاء في وجوب الانقياد والخضوع للخالق العظيم، وهذه الطاعة إنما يقتضيها وجوب شكر المُنعم الذي أسبغ على عباده من نعمه ما لا يُحصى، ولا يُترجم شُكر المخلوق

بالقول المتمثل بالتسبيح أو الثناء للخالق إلا بالطاعة التامة له في أمره ونهيه. وفي قوله في هذا المقطع تضمينٌ بليغٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾[سورة النحل: ١٨] وهنا يمكن لنا أن نستشفّ اقتضاءً آخر يتمثّل بأنّ الذي يُضمّن قول الله تعالى نفترض كونه عالمًا بمراد الله تعالى اسمه، عالمًا بمكنون كتابه العزيز، منطلقًا في بيانه من هدي الكتاب وسنة نبيّه، ومن ثمّ يُمهّد في هذه الفقرة إلى الفقرة التي بعدها، وهي: **(ونحن إنما غضبنا لله ولكم، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده، ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نخوة وعصمة)** وهنا يقتضي الخطاب الموجّه للسامع أنَّ يكون متفاعلاً مع المتكلم بوصفه إمامًا يمثل الحق فغضبه ليس لأجل مصلحةٍ شخصية تجسدت بمطالبتهم الخلافة من دون منازعٍ يجاذبهم رداءها، وإنما لأجل المصلحة العامة التي لا يتم صلاحها إلا بالتصدي للمُفسدين الذين يستأثرون بمال المسلمين عبر تصدّيهم اللامشروع للخلافة، فالغضب الذي يمثل حال الإمام (عليه السلام) يقتضي غضب المسلمين المقصودين بالخطاب، وهذا الغضب إنما يقتضي منهم ترجمةً واقعية تعبّر عن غضبهم القارّ في نفوسهم، أي عليهم – على وَفْق ما يمهده خطاب الإمام الحسن (عليه السلام)– أن يمتثلوا لأمره في القيام بالأمر بالمعروف والجهاد بين يديه لأجل إزاحة الظلم والفساد عن البلاد الإسلامية، ونتيجةً لقوله جعل الإمام الحسن (عليه السلام) يُمهّد بمقدّمات تقتضي نتيجةً واحدة تصبُّ في تحريك ضمائرهم وشحنهم بالمُعطيات ويشُدّ أزرهم لأجل القيام ورفض الظلم الذي يتمادى يوما بعد آخر نتيجةً للتقاعس عن وأد الفتنة ورد جائحتها، فالمقدمة التي تفضي باجتماع القوم على تحقيقِ أمر تقتضي نتيجةً لا تقبل الخطأ وهي اشتداد أمرهم واستحكام عُقدتهم، – وهي كناية عن صفة القوة–، ومن ثم يصل الإمام (عليه السلام) إلى مُراده بعد تمهيده بالمقدمات، وهو طلبه بالأمر تارةً من المُخاطبين الاحتشاد لقتال عدوهم المتمثل بمعاوية وجنوده، وبالنهي تارةً أخرى منهم بأن لا يتخاذلوا في قتال عدوهم، فالتخاذل داءٌ لا يفضي – أي يقتضي– إلا إلى قطع نياط القلوب – وهي كناية عن صفة الجبن– ومن ثمّ يؤكّد الإمام الحسن (عليه السلام) مضمون خطابه التحريضي بمُقدّمات أخرى تصبُّ في النتيجةِ نفسها وهي الإقدام على قتال معاوية وجنوده، فيُحبب لهم الإقدام على الأسنّة لاقتضاء هذا الأمر كراهةً متمركزة في ذات الإنسان؛ لكونه – أي القتال– سببًا لتلف النفس وهلاكها، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٢١٦] فلذا يُضاعف الإمام جُهده لأجل تحبيب القتال وجعله مقدّمةً لنيل العزّ والكرامة اللتين لا تتحققان إلا به.

– **تقانة القياس الخطابي:** يمثل القياس آلية استدلالية تبرهن على صدق المُدّعى الذي يهدف إليه المُتكلِّم، وعبره يبتغي إقناع المُخاطَب، وقد عُرِّفت بأنّها ((آلية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاجٍ ما، بألفاظٍ فيها شيءٌ من الالتباس والاشتراك، بناء على أنّ القياس يقوم على التجربة، التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية))[٤٠].

وفي خطب الإمام الحسن (عليه السلام) نتلمّس القياس بأبهى صوره، ومنها قوله: ((**أما بعد، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أرشد الله أمره، وأعزّ نصره، بعثني إليكم**

يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله. ولقد علمتم أن عليًّا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وإنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه، ثم شهد مع رسول الله صلى الله وآله جميع مشاهده، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضيًا عنه، حتى غمضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره، كل ذلك منٌّ من الله عليه. ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تداك الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسدًا له وبغيًا عليه))[٤١].

فقد لوّح الإمام في تتابع خطابه الشريف إلى نتائج يتلمّسها مَنْ يُصغي إليه، ولا يرتاب المُعاند في صدق وقوعها؛ ذلك لأنّها استندت على المشهور المتعارف لدى المتلقي، ومن ثمّ تُرغمه على القبول بما يترتّب عليها من نتائج، ويُذعن إلى التسليم بها من دون جدال، فقوله: **(فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون)** يُمثّل مقدمة أولى – أو كبرى بحسب المنطق– تُمهِّد لما سيُدليه من أوامر تأخذ حيّزها في الإذعان لدى المتلقي، لما حازه من مقبوليةٍ عامة، وهنا يُمهد لذكر (الصغرى) التي تنبني عليها النتيجة المتوخّاة لدى المتكلّم، وهي **(ولقد علمتم أن عليًّا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وإنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه، ... إلخ)** وعبر هذه المقدمة الثانية تلمع النتيجة بوجوب طاعة أمر الإمام الحسن (عليه السلام) في دعوته إلى التزامهم نهج الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لكونه الممثّل الوحيد الحقيقي المُعبِّر عن الإسلام، والخليفةَ الشرعيَّ الذي تجسّدتْ فيه الصفاتُ المثاليةُ لهذا المنصب، وذلك عِبْرَ مواقفه التي شَهِدَ المسلمون على أنَّها ترجمةٌ فعليةٌ للقائد المحامي عن الإسلام مُنذُ نُعومةِ أظفارِهِ وإلى يوم الناس هذا.

– **حجة التعدية:**تمثّل هذه الآلية طريقة أخرى في إقناع المتلقي للخطاب بأنَّ الفعل الذي صدر منه مساوٍ لفعلِ آخرين يُقابله في الحكم والنتيجة لذلك الفعل معلوم النتيجة، وفيها تكون الحجة أبلغ؛ ذلك لأنّها تشمل أصنافًا عديدة بحكمٍ واحدٍ، وتبقى وظيفة الخطيب المُحاجج في تبيان تعدّي الحكم المفروغ من إثبات برهانه، للقضية التي يريد إثباتها بالحكم نفسه.

ومن الشواهد التي تمثّل توظيف حجة التعدية في خطب الإمام الحسن (عليه السلام) قوله: **((إن الله لم يبعث نبيًّا إلا اختار له نفسًا ورهطًا وبيتًا، فوالذي بعث محمدًا بالحق، لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد، إلا نقصه الله من عمله مثله، ولا يكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين))**[٤٢].

حيث يبيّن الإمام أنَّ عقوبة التعرّض لآل بيت الرسول (عليه السلام) هي العقوبة نفسها التي جعلها الله لمن يتعرّض لرسوله (صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لأنَّ الرسول الكريم اختار أهل بيته رهطًا له يؤدون بعده متممات الرسالة الإسلامية ويُحافظون على تبليغها للناس، فيكون بالمحصّلة من نقص حقوق أهل بيته الكرام مستوجبًا لنقصِ الله من أعماله، وهكذا يكون من له دولة يستبدّ بظلّ سطوتها بحقوق آل بيت الرسول، فهي لا تسلم له في الختام، إذ تكون العاقبة للمتقين من آل رسول الله (عليه السلام).

– **حجة التمثيل:**وهو قياس يستعمل لتقريب الحقائق وإلباس المعاني لبوسًا حسيًّا، وهو من الأدلة التي لا تفيد إلا الاحتمال؛ لأنه لا يلزم من تشابه شيئين في أمر أن يتشابها من جميع الوجوه، إلا إذا قويت وجوه الشبه بين الأصل والفرع وكثرت يقوى حينئذٍ الاحتمال(٤٣)، وفي تعريف بيرلمان للتمثيل تحديد لقيمته الحجاجية التي تعزز من قوة الخطاب وتثبيته لدى المتلقي، إذ يقول: ((هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائمًا، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان أن تكون مترابطة))(٤٤)، وهو من زاوية أخرى يقوم في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، إذ يراد منه استنتاج نهاية أحد الشيئين بالنظر إلى نهاية مماثلها(٤٥).

وفي الخطاب الحجاجي يأخذ التمثيل بُعدًا إقناعيًّا من حيث شدّ ذهن المتلقي بموضوع الخطاب وجعله يربط بوجوه الشبه التي تداعت في ذهنه حتى يخرج بنتيجة مفادها أنَّ هناك ارتباطًا بموضوع الخطاب والمشبه به من زاوية التمثيل، ومن ثمّ الإذعان لمتطلبات الخطاب من حيث التسليم بما يدّعيه من أفكار، وفي خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين نجد مصداقًا واضحًا لحجّة التمثيل، وذلك بقوله: ((**لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة فيها نزل القرآن، وفيها رفع عيسى بن مريم (عليه السلام)، وفيها قتل يوشع بن نون، فتى موسى (عليه السلام)، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليبعثه في السرية، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى، وبكى الناس معه**))(٤٦).

في هذه الخطبة الجليلة، توخّى الإمام الحسن (عليه السلام) ضرب الأمثلة الدقيقة التي تبرز عظمة الفقيد المُعتَدى عليه، ففيها عدّة أحداث كونية وتاريخية عِدّة تتعلّق برسالات السماء، هذا من جانب ومن جانب ثانٍ، يريد أنْ يوصل المتلقي المُخاطَب إلى نتيجة مفادُها أنَّ من قام بالاعتداء على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا علاقة له بالدين لا من قريب ولا من بعيد، وبهذا جعل الجهة التي ينتمي لها القاتل خارجةً عن رِبْقة الإسلام؛ وذلك بعدم مُراعاتها حُرمة هذه الليلة في هذا الشهر الشريف الذي يبتغي فيه المسلمون الرحمة والمغفرة من ربهم (ﷻ)، ومن جانبٍ ثالث جعل القاتل لأمير المؤمنين (عليه السلام) في رُتبةٍ مُساوية لقاتل الأنبياء والأوصياء السابقين (عليه السلام) وبهذا كان التمثيل مؤدّيًا لغرضه في تقريب صورة المُشبه إلى الذهن وبيان مدى قدره عند الله في انتهاك حرمته والاعتداء عليه.

ومن التمثيل الذي توخّاه الإمام الحسن (عليه السلام) في ضمن خطبه الغرّاء؛ لأجل بيان مراده وإقناعه الآخر بما يراه صوابًا قوله مُؤبنا الأشتر حين قُتِل مسمومًا، ومبيّنًا مكانته عند والده أمير المؤمنين (عليه السلام): ((**أما بعد: فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان، قُطِعَتْ إحداهما يوم صفين [يعني عمار بن ياسر]، وقطعت الأخرى اليوم [يعني الأشتر]**))(٤٧).

يلحظ المتأمّل في هذه الاستعارة التصريحيّة التي حُذِف فيها المشبّه مع الأدوات، واكتُفِيَ بالمُشبّه به، تمثيلاً دقيقًا للمُشبّهين، إذ جعلهما بمكانةٍ واحدة، وهنا تكمن عظمة البلاغة الحسنية؛ إذ حقّقت قياسًا مُضمرًا لمن لديه شكٌّ في أمرِ مالك الأشتر، فجعله والصحابي الجليل عمّار بن ياسر في مكانةٍ واحدة، فكلاهما يدان يمينان، ولم يجعل أحدهما يمينًا للإمام علي (عليه السلام) والآخر شمالاً له، وعلى هذا تكون الدعايات التي بثّها الإعلام

الأموي المعادي لتشويه صورة مالك الأشتر في عداد الأكاذيب الباطلة لتسقيط الرموز الإسلامية المجاهدة مع النبيِّ وآل بيته الكرام.

كذلك نجد في قوله في خطبته مؤبّنًا والده أمير المؤمنين (عليه السلام) بُعَيد مقتله المُفجِع: ((**يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهمٌ من مرامي الله، صائبٌ على أعداءِ الله، نَكالٌ على فجار قريش**))[٤٨]. استعارةً بليغة، إذِ اكتفى بالمُشبّه به، وشبّهه بالسهم، ولكن جعله منطلقًا من الله سبحانه وتعالى، ومن أطلقه الله سهمًا لابُدَّ أنْ يكون قريبًا إليه، وفي الوقت نفسه يكون متوجّهًا بدقّة إلى الهدف، من دون زيغٍ في توجّهه، ومن الطبيعي حينها أنْ يكون الهدف حربًا لله ورسوله، ومن كان وصفه بهذه التشبيه، فلا بدّ أنْ يُقتَدى به، ويُطاع في أمره ونهيه؛ لأنّه معبّرٌ عن إرادة الله سبحانه ومشيئته. وبهذا تُثبت الاستعارة أثرها الحجاجي في إضفاءِ مزيدٍ من الضغط والإقناع على المتلقّي؛ لأنها تكتسب تداوليّتها من ((التأثير الذي تحدّثه في المتلقّي في سياقٍ معيّن فتكون أكثر إثارة لانتباه المتلقي وأكثر قدرة على التأثير فيه بقدر ما تحققه من غرابةٍ وانحراف عن العادي والمألوف))[٤٩].

– **حجّة التعريف:**وهو من الوسائل التي تقوم بإقناع المُخاطب، ومن ثمّ تتضمّن طاقة حجاجية، ذلك لانطوائها على التعريف بحقيقة الشيء وماهيّته ليكون دليلاً على الحكم الذي يُطلب إثباته من المتكلم – صاحب الخطاب– لأجل أنْ يكون خطابه واضح المقاصد لا يلتبس فهمه على المخاطبين ومن ثم يقع السامع في تهويمات وضروب من التأويل لفكّ شفرات خطابه؛ ولذا جنح أكثر الساسة في سبيل تمويه السامعين بقدرتهم على إدارة شؤون البلاد إلى اختيار ألفاظٍ خلابة ((غير محدودة المعنى بحدودٍ واضحة، يستغلون جمالها وإبهامها للتأثير على الجمهور، وليتركوا كل واحدٍ يفكر فيها بما شاءت له خواطره الخاطئة أو الصحيحة، فيبقى معنى الكلمة بين أفكار الناس كالبحر المضطرب))[٥٠]. أما الإمام الحسن (عليه السلام)، فهو البعيد عن سياسة التضليل وتسطيح وعي الجمهور كما هو الحال عند معاوية المشهور بدهائه[٥١]، فخطابه يسعى إلى تأسيس وعيٍ عميقٍ عند المتلقي مبنيٍّ على مرتكزات لا يمكن إنكارها، ومن ثمّ يكون سببًا لثبات موقفه وانشداده إلى الباثِّ؛ نتيجة الوعي القائم عبر الخطاب الواضح الذي بثّه المُرسِلُ إليه.

ومن الخطب التي اشتغلت على آلية التعريف هو قوله (عليه السلام) مخاطبًا شيعته وأنصاره: ((**نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول عليه في كل شيء، لا يُخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه**))[٥٢].

وفي هذا المقطع من خطبته الشريفة، نجد الإمام يبتدأ كلامه بضمير المتكلم عن الجماعة (نحن) لا لأجل إضفاء البُعد القَبلي ليكسبه قوّةً ويجعل خطابه ذا أثرٍ لدى المتلقي، كما هو متعارف لدى جُلِّ الخطابات العربية المنطلقة من بؤرة الاعتزاز بالقبيلة بوصفها الكيان المعنوي والمادي الذي يُمارس حضوره في المخيال الجمعي، بل لأنَّ الإمام (عليه السلام) أراد التعريف بنفسه وبمن يمُتُّ قرابةً صُلبيّةً للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وبأنّهم الممثلون الشرعيون بعده؛ لكونهم عِدْلَ القرآن الكريم، ومعلومٌ أنّ القرآن هو الدستور الإلهي الذي أُمِر المسلمون باتّباعه، وجعله إمامًا يحكم فيما بينهم بالحق، كذلك آل بيته الكرام المعصومين من ارتكاب الزلل

والخطيئة، فهم أولى بالاتّباع ممّن يدّعي الحكم لنفسه، فتعريف الإمام الحسن (عليه السلام) ينطلق عبر مقدّمات لا يختلف على صدقها أحدٌ من الناس حتى الخصم اللدود له.

وأرى أنَّ التعريف بالشيء إنّما يُبرز خصائص للمُعرّف تُميّزه عن غيره، ولا يمكن أنْ تدخل في سواه، ويحضرني هنا قول الإمام علي (عليه السلام) حين سئل: ((صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ فَقِيلَ فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ))[٥٣]، وبهذا الجواب الأخير أراد الإمام من تمييزه صفات العاقل إبعاد المُضادّ له بالصفة وهو (الجاهل) ومن ثم تكون صفته: (هو الذي لا يضع الأمور مواضعها). كذلك في قول الإمام الحسن (عليه السلام) فيما تقدّم عرضه أراد عبر عرض – بطاقته التعريفية– تمييز من يُضادّهم بالموقف، وهنا يستلزم أنْ تكون لكل صفةٍ ذكرها الإمام له ولعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصافُ عدوّه الذي يُنازعه رداء الخلافة، ومن ثمّ إفراغ دعوته من صدق المُضمون، فالإمام يعرّف نفسه بأنه وأهل بيت رسول الله ممثّلين لحزب الله، أما عدوّهم فيلزم أنْ يكون من حزب الشيطان، وحين يعرّف الإمام بأنه من عترة رسول الله الأقربون، يُظهر من جانبٍ آخر بُعدَ عدوّه نسبًا عن الامتداد النبوي للرسالة الخاتمة، وهو من أهل بيت رسول الله الطاهرين، وهنا يريد بهذا القيد إخراج كلّ من لم يكن من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ذلك لأنَّ الله قد ذكر في محكم كتابه إرادته التكوينية والشرعية إذهاب الرجس عن رسوله وآل بيته الكرام، بالمُبالغة في تطهيرهم المعنوي والمادي، وهذا الأمر يتعذّر على غيرهم الاتصاف به، أما آل بني سفيان فهم ممن لا يختلف بخبث عنصرهم وقذارة بيوتهم مما حلّ بها من ارتكاب المعاصي والمنكرات منذ العصر الجاهلي وبعد الإسلام، فتعريف الإمام بهذه القضية يكسب خطابه طاقة حجاجية تجعل المتلقي واثقًا من خياره، مقتنعًا بأنّ من سارَ خلفه لم يكن دعيًّا للخلافة، متلهّفًا لاستلام السلطة حتى وإنْ كانت على حساب سفك الدماء وقتل النفس المحترمة.

ونوضح تلك الثنائية الضدّية – إنْ صحّ وصفها– بين جبهتي الحق والباطل المتمثّل بآل الرسول الكريم (صلوات الله عليهم) وآل أبي سفيان، عبر الخُطاطة الآتية ابتغاءً للفائدة:

حزب الله المفلحون	⟷	**حزب الشيطان**
عترة رسول الله	⟷	**آل أبي سفيان (الطليق)**
أهل البيت المطهرون	⟷	**أهل الكفر والشرك (الأنجاس)**

وفي ردّ الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية حين نال منه ومن ابيه، نجد الترجيح يتجلّى بوضوح، بقوله: ((**أيها الذاكر عليًّا: أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرًا، وألأمنا حسبًا، وشرَّنا قديمًا وحديثًا، وأقدمَنَا كفرًا ونفاقًا فقال طوائف من أهل المسجد: آمين**))[٥٤].

يؤدّي الخطاب الحسني في هذا النص وظيفته القائمة على عرض الأصول التي ينتمي لها كلٌّ مخاصم، ومن ثمّ يكشف عن ثنائية ضدّية – إن صح الوصف– تمثّلت في الشخوص الذين انتمى لهما طرفا النزاع القائم في حال الخطاب، فالخطاب يعرض لنا قائمة بالأسماء التي يكفي إنْ ذُكِرت يتمثل الذهن العربي الحاضر في ثنيات

تلك الوقائع مرجعيات كلّ اسم، وبعبارة أخرى شكّلت الأسماء علامات تشير إلى كمٍّ اختزالي لا يسعه المسرد التفصيلي بذكر ما يختزنه من مداليل، فكانت الأسماء بمثابة التعريفات التي بموجبها يتمّ الفرز والتصنيف في الموقف، ومن ثمّ يتمّ التعرّف على انعكاسات الموجِّهات الوراثية وأثرها في تكوين الشخصية القيادية أو التي تدّعي تمثيلها للإسلام، وبما أنّ معاوية لم يظفر بشيء من تلك الموجِّهات الوراثية، فيتحصّل – شاء أم أبى– فراغه ومن ثمّ إقصاؤه فكريًّا – على أقلّ الاحتمالات– عمّا يدّعيه من منصب القيادة الإسلامية، وهنا يفلح الخطاب في تقشير اللحاء الذي يتلبّد على الذهنية الجمعية للمجتمع الإسلامي، وذلك بحقنه جرعة من المحفّزات الحجاجية التي تُعزِّز مكانة المُحاجج بين متلقيه.

وفي خُطبةٍ أخرى يعزِّز الإمام الحسن (عليه السلام) بيانه بجُرعةٍ تعريفيّةٍ تُسهم في كسب مشاعر المتلقّين وجعلهم ينساقون إلى مضامين خطابه، وذلك بقوله: ((**أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا** [٥٥]**، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت**))[٥٦]. وقد أفلح الإمام الحسن (عليه السلام) أيّما فلاح حين وجّه خطابه التعريفي – إنْ صحّ الوصف– لِمَنْ لا يعرفه؛ لكي يضمن سلامة نوايا من يعرفه من المخاطبين، ولا يُسيؤوا به الظنَّ؛ وذلك أنَّ المخاطَبَ إذا خوطِبَ بما يُشعِر التشكيك به، يؤدّي ذلك إلى تضعضع العلاقة بين المرسل والمتلقّي، ومن ثمّ لا يستجيب الأخير للمُرسل، بحُجّة أنَّه قد وُضِع في خانة المُرتابين، فسواءٌ أكان مستجيبًا لخطابه أم لم يكن، فهو ساقط الأهمية في منظور المُرسِل، وبالمُحصّلة تفشل الرسالة الخطابية في أداء وظائفها الإقناعية، أمّا لو أخذ المُرسل بنظر التأمّل مكانة المتلقّي، لانتهى إلى نتائج سديدة تُسهم في تحقيق مقاصده.

وبالعودة إلى خطابه الشريف، نجد الصفات الإيجابية تتضافر في سياقٍ واحد، وهو التعريف بالجهة التي ينتسب إليها الإمام الحسن (عليه السلام) ومن الواضح أنَّ استثمار هذا الجانب، يستبطن مقبوليةً واسعة النطاق عند المتلقّي، فلأجل ذلك كان الخطاب منصبًّا على توظيف هذه المُعطيات، بهدف تحريكه – أي المتلقي– ودفعه إلى خطوةٍ أخرى تنمُّ عن انصهاره في بوتقة السلوك الإيجابي، وهذا ما تمَّ فعلاً؛ ((فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة، قام عبيد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا وقالوا: ما أَحَبَّهُ إلينا وأَحَقَّهُ بالخلافة ! فبايعوه ثم نزل من المنبر))[٥٧].

– **حجّة التعليل:**وهو من آليات الحجاج التي تقوم على تعزيز ثقة المتلقي بخطاب الباث؛ وذلك لأنه يقدّم فكرة ويبين سببها، ((وفائدته التقرير والأبلغية فإن النفوس أبعثُ على قبول الأحكام المُعللة من غيرها))[٥٨].

وفي المدونة الحجاجية النظرية عند الغرب نجد الاهتمام نفسه بعنصر التعليل بوصفه آلية يضمن بها المتلقي مقبولية ما يلقيه من كلام، فقد جعل تولمين من التعليل الوظيفة الأساسية للحجج، وهذا من خلال عملية الانتقال من المعطى إلى النتيجة التي تُذكّرنا في القياس بالمقدمات والنتائج[٥٩].

وفي خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) يظهر فيها جليًّا آلية التعليل، إذ يقول فيها بعد أنْ أشار عليه والده أمير المؤمنين في توضيح حقيقة الحكمين إبّان معركة صفين وقضية التحكيم: ((**فقام الحسن فتكلّم فقال:** "**أيها**

الناس، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو، وإنما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى، فحكما بالهوى دون القرآن،... إلخ))

فأفصح الإمام المجتبى (عليه السلام) عن العِلَّةِ التي تقف وراء ابتعاث الحكمين مُمَثِّلين عن جيش كُلٍّ من الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية، وبما أنَّ الجهتينِ المتقابلتينِ تدّعيانِ امتثالَ كُلٍّ منهما لحكم القرآن، وجعله حاكما عليهما؛ لذا تقرّر على الإمام علي (عليه السلام) رفع الاشتباه واللبس الذي مُورس من قبل معاوية لتضليل العوّام من الناس، فكان له أنْ يكون حاكمًا، لكنه رضخ لإرادة الأكثرية ممَّنْ أشار عليه باختيار أبي موسى الأشعري على مَنْ أراده حكمًا يمثله وهو مالك بن الأشتر، كلّ ذلك من أجل حفاظ الباث على هدفه المنشود المتمثّل بتعالي النموذج الذي يدعو الناس إليه، فالشخص الممتلك للسلوك المتميز عليه أنْ يحافظ على سلوكه، ويحاول أنْ يجعله متميزًا أكثر، كما قال عبد الله صولة: ((إن انحرافًا واحدًا منه قد يُستخدم تبريرًا لعشرات الانحرافات من قِبل غيره))[٦٠].

ومن ثمّ أوضح الإمام السبب الذي كان أبا موسى مخطئًا بموجبه، بقوله: **((وقد أخطأ عبدُ الله بن قيس في أن أوصى بها إلى عبد الله بن عمر، فأخطأ في ذلك في ثلاث خصال: في أنّ أباه لم يرْضهُ لها، وفي أنّه لم يستأمره، وفي أنه لم يجتمع عليه المهاجرين والأنصار، الذين نفّذوها لمن بعده، وإنما الحكومة فرضٌ من الله، وقد حكّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) سعدًا في بني قريظة، فحكم فيهم بحكم الله لا شكّ فيه، فنفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حكمه، ولو خالف ذلك لم يُجرِه))**[٦١].

وفي هذا الجزء من الخطبة بيانٌ للأسباب الموجبة لبُطلان حُكم أبي موسى الأشعري؛ فهو قد أدلى بالعهد إلى عبد الله بن عمر[٦٢]، في حين أنّ الذي اختاره أبو موسى لم يكن مُختارًا من أبيه عمر بن الخطاب بعد قضاء أمد خلافته، فهو لم يرضها له، بل جعلها في عصبةٍ من الصحابة لم يكن عبد الله واحدًا منهم، ثم يضيف الإمام علّة أخرى لفساد أمر أبي موسى في اختياره عبد الله بن عمر، وتتمثّل بأنه لو تركنا اجتماع الخاصة من الصحابة في اختيار الخليفة بعد الخليفة الثاني، فإنَّ الإجماع لم ينعقد عليه من المهاجرين والأنصار، فهو في كلا الأمرين لم يكن بأهلٍ للخلافة. وكلُّ ذلك التوضيح إنّما هو تعليل لخطأ حكومة أبي موسى، فضلاً عن كونها خارجة عمّا أراده الله ورسوله (صلى الله عليه وآله). والإمام علي (عليه السلام) لم يكن خارجًا في تصرفه عن هدي القرآن الكريم وعن سُنّة نبيّه. إيمانًا منه بالحق الذي يدعو إليه والباطل الذي يُحاربه.

وفي فقرةٍ له أردفها في خطبةٍ تعرّضنا لها فيما سبق، وهي قوله بعد أنْ حرّض أصحابه على الجهاد وكفِّ ظلم معاوية: **((لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة))**[٦٣]، وفيها تعليل واضح للسبب الذي بموجبه يسترخص الإنسان حياته ويُضحّي بأغلى ما عنده، وهي نفسه، لأجل ما هو أغلى من النفس، وهو الحياة الكريمة التي ينعم في فيئها أفراد المجتمع بأجمعهم، فالتضحية التي يقدّمها المقاتل إنّما لأجل حياة أمّة بأكملها، ومن ثم تكون مقتضيةً لوجوب عدّة أمور – أي بمثابة المعلولات المفروغ من حصولها– تتوقف على عدم امتناع المقاتلين لتلبية أمر القتال بين يدي إمامهم، وأولى هذه الأمور المتحصّلة عُقيب امتثالهم لمولاهم، هي أنّ الله يدفع عنهم العلّة، وهي المرض، ويُفهم من سياق النص أن المقصود هو مرض القلب لا البدن، كذلك يدفع الله عنهم الذُلّ الذي يترتّب على خنوعهم نتيجة خوفهم على نفسهم، مما يدعوهم إلى أنْ

يُحجِموا على الوقوف بوجه الظلم، وقد أسند الجوائح للذُلِّ تعظيمًا لخطر الذلِّ الذي يأتي على المجتمع فلا يُبقي من أركانه إلا وهدّه، وذلك بتمهيده للانحلال الأخلاقي في المجتمع وانسلاخه من القيم التي بموجبها يرتفع صرح الأمة الإسلامية ويعلو شأنها بين الأمم.

وفي هذه الفِقَر يتّضح أنَّ الإمام (عليه السلام) –وهو سليل أمير البيان– لم يغفل عن إقناع مُخاطبيه، وهزِّهم عبر طرحه الأسباب الكامنة وراء أمره أصحابه بالجهاد. ومسئلة استدراج المخاطب إلى الإذعان والتسليم، يقوم عليها خطاب البليغ إذ إنَّ مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة ولا تتحقق المعاني الدقيقة إلا بأن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها(٦٤).

– **حجّة الترجيح:** الذي يعود إلى المعجمات اللغويَّة يجدُ أنَّ مدلول كلمة (ترجيح) تعني الزيادة أو التغليب أو التفضيل، وتأتي أيضًا بمعنى التمثيل من قولهم: رجح الميزان أو قولهم: ترجَّحت الأرجوحة(٦٥).

قال الأزهري (ت٣٧٠هـ):((رجَّحتُ الشيءَ وزنتهُ ونظرتُ ما ثقله، وأرجحت الميزان أي أثقلت حتَّى مال))(٦٦)، أي تغلَّب على قرينه، فصار فاضلاً غالبًا عليه. وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((الراء والجيم والحاء أصلٌ واحد يدلُّ على رزانة وزيادة))(٦٧).

أمَّا مدلول الترجيح في الاصطلاح، فقد عرَّفه الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) بقوله: ((إثبات مرتبةٍ في أحد الدليلين على الآخر))(٦٨)، وفسَّره أحد الباحثين بقوله: ((أي بمعنى أنَّ أحد الدليلين يُغلِّبُ على الآخر لسببٍ ما يخوِّله الرجحان على نظيره))(٦٩)، وهذا يحتاج إلى عملٍ شاق، ومتابعةٍ دقيقة، وتأمُّلِ نظر، لينتخب المرجِّحُ أصحّ الآراء وأفضلها.

وما ذكر من تعريفٍ لمفهوم الترجيح يقترب لما طرحه (محمود يعقوبي) وهو أنْ نختار من بين الاحتمالين أفضلهما إلينا، سواء أتعلق الأمر بنا أو بغيرنا، بعد إجراء الموازنة التي تقوم على أساس مجموعة من القيم بحسب الغاية المتوخاة منها(٧٠).

ومن الملاحظ أنَّ بين المدلول اللُّغوي والاستعمال الاصطلاحي مناسبة، وهي إظهار الفضل لأحد المثلين بدليل يصحبه المرجِّح ليثبت به صحَّة ترجيحه(٧١).

وفي خطب الإمام الحسن (عليه السلام) نجده يمارس الترجيح عبر خطابه الموجه إلى خاصة أصحابه الذين لم يقنعوا بخيار الصلح لأوّل وهلة؛ ليميل بقناعتهم إلى ما يراه صوابًا، فيقول: ((**وأما قولك: يا مُذِلَّ المؤمنين، فوالله لأن تَذِلُّوا وتُعافُوا أحبُّ إلي من أن تَعِزُّوا وتُقتَلُوا، فإن ردَّ اللهُ علينا حقَّنا في عافية، قَبِلْنا وسألنا اللهَ العونَ على أمره، وإن صرفه عنا رضينا وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنّا**))(٧٢).

وهنا يعرض الإمام على أصحابه خيارين لا ثالث لهما، فالأول يضمن لهم حياتهم على ما فيه من شائبة الذلِّ، أما الثاني فيوفّر لهم العزّة الظاهرية ولكن يحتّم عليهم الموت، ويرجّح لهم الإمام الخيار الأول؛ لأنه يضمن لهم حياتهم مع أنه يكشف مدى طاعتهم لإمامهم، على الرغم مما وقع في حزبه من ((تخاذل جيشه وشيوع الخيانة لانعدام البصيرة الكافية لديهم، فكان اللازم الحفاظ على المؤمنين وهم الشيعة الذين هم فئة خاصة آنذاك لئلا يُستأصلوا عن آخرهم))(٧٣). أما الذلُّ الذي سيقعون فيه فهو أمرٌ قد يخدش كبرياءهم بوصفهم مؤمنين يرون أنفسهم مشمولين بوصفه تعالى: **ولله العزة ورسوله وللمؤمنين**(٧٤) ، ولكن الإمام – الذين يدّعون انقيادهم له– أولى

بتطبيق مصداق الآية، فهو يدرك ما لا يدركونه على أرض الواقع، فترجيحه ينبع من تقدير المعطيات الشاخصة له، فخطابه (عليه السلام) موجّهٌ إلى تلك الفئة من الأنصار الذين رأوا وجوب قتال معاوية، وتأهّبوا للجهاد، إلا أنّهم في الوقت نفسه لم يجعلوا في حسبانهم أنَّ طاعة إمامهم أولى من طاعتهم هوى أنفسهم، فكان واحدهم يقول: ((كُنّا فى مُقدِّمة الحسن بن عليٍّ رضى الله عنهما على اثنى عشر ألفا بمسكن مستميتين، تقطر أسيافنا من الجدّ والحرص على قتال أهل الشام [...] فلما جاءنا صلح الحسن كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن))[٧٥].

وفي خطبة أخرى له، يقوم الإمام الحسن (عليه السلام) بعرض جملة من الصفات التي تنطبق كل الانطباق للإمام الحق الذي يدعو إليه، وبخلافها يعرض الصفات المنافية التي يشتهر بها أعداءه، وهي قوله: ((**إلى مَنْ قَرّبهُ اللهُ تعالى ورسولُهُ قرابتين: قرابةَ الدينِ وقرابةَ الرَّحِمِ، إلى مَنْ سَبَقَ الناسَ إلى كُلِّ مأثَرَةٍ، إلى مَنْ كَفى اللهَ ورَسولَهُ والناسُ مُتخاذِلونَ، فَقُرِّبَ منه وهم مُتباعدون، وصَلَّى معهُ وهُم مُشركون، وقَاتَلَ مَعَهُ وهُم مُنْهَزِمون، وبارَزَ مَعَهُ وهُم مُحْجِمُون، وصَدَّقَهُ وهُم يكذبون، إلى مَنْ لَمْ تُرَدَّ لهُ ولا تُكافأُ لهُ سابِقةٌ، وهُو يسألُكُمُ النَّصرَ، ويدعُوكم إلى الحق**))[٧٦].

وفي مقام عرضه تلك الصفات الإيجابية في خطابه الشريف، يجعل المتلقي أمام متتالية من القيم الأخلاقية والصفات السلوكية، ومن خلالها يُرجّح أيّها أكثر صوابًا من الآخر، على الرغم من أنّ كلا الموقفين لم يغب عن ذهن الإمام أصالة أحدهما وقربه من جادة الحق، وبعد الآخر عن الحق بل ومحاربته له، بدليل أنّ الإمام يشير إلى أنه يدعو إلى اختيار الأصلح، ولكنه يريد أن يجعل المتلقي في مفرق طرقٍ لاختيار الأرجح قيادة، ليدفعه وجدانه ويحركه ضميره إلى قراره بحسب ما هو مطروح من مرجّحاتٍ في خطاب القائد، يأبى العقل السليم للمتلقي أنْ يدعها ويميل لأخذ المرجوح في كلِّ صفة. وهنا يكمن الإبلاغ الخطابي حين يستثمر هذه الإمكانية ويوظّفها لأجل تدعيم الموقف الذي يحشد الآخرين إلى تبنّيه ومن ثمّ الاندفاع نحوه.

كذلك في قوله (عليه السلام) في ضمن خطبته في شأن أبي موسى الأشعري: ((**فمن كان هكذا لم يكن حكمًا، ولكنه محكوم عليه**))[٧٧]، فيه ترجيح لتقييم شخصية أبي موسى، بعد أنْ عرض وصفًا لسلوكه بوصفه حكمًا بين الطرفين، وهو سلوك ينمّ عن تبعيته للآخرين واغتراره بالعاجل من الدنيا، من دون التدبر في العواقب، مما يرشح لدى المتلقي وصفه بالتابع لا المتبوع، عبر آلية الترجيح التي تدع الذهن يختار الحكم على وَفْقِ ما يُمليهِ من مُرجِّحات.

ومنها قوله (عليه السلام) رادًّا على تخرُّصاتِ أتباعه ممَّنْ أخذَ عليه موقفَهُ في الصلح مع معاوية: ((**أما بعد فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأَنْصَبُ، ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم**))[٧٨]. وهنا يتّضح رجاحة الخيار الذي ركن إليه الإمام الحسن (عليه السلام) وهو الصُلح؛ وذلك لأنّه خيارٌ نابع من كون صاحبه غير مائلٍ إلى زهرة الدنيا ومتاعها الفاني، الأمر الذي أدّى إلى قلة أصحابه، ممّا يؤدّي إلى فشل المعركة فيما لو اختير قرار الحرب مع معاوية، وإلا لو كان قد اتبع سياسة غريمه اللدود في إغراء أتباعه بالمال والمغريات الدنيوية، لكان له من الأتباع والجنود ما يكفي أنْ يحرز النصر في أول جولة. فترجيحه لخيار الصلح إنما تمّ على وفق سياسته القائمة على نبذ متع الدنيا وابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة:إذا كانت ثمةَ نتائج لكل بحث، فما تناولته في هذا البحث عرضًا وتحليلاً واستنتاجًا في تراث الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) أفضى بي إلى النتائج الآتية:

-فنّدَ البحثُ ادّعاءاتِ الإعلام الأموي المنصبّة على تشويه صورة الإمام الحسن(عليه السلام) بأنّه لا يُحسن البيان في خطابه، وأنه يتلعثم ولا يتمكّن من توصيل مُراده، ببيان شواهد تاريخية نقلت لنا خلاف هذا الادّعاء الزائف.

-أظهرت بعض تلك المرويات التاريخية احترام الإمام الحسن (عليه السلام) وإكباره والده أمير المؤمنين (عليه السلام) بحيث لا يتقدّم والده في البيان، وهذا يدفع مرويات أخر عرضتها كتب المخالفين بأنه (عليه السلام) كان على خلاف سيرة أبيه في أنه يتزوج النساء ويُطلّقهن حتى أنّ والده نهى الناس تزويج بناتهم إلى ابنه، مما يُظهر عدم سيطرته على ابنه من جهة، وعدم احترام الابن إرادة والده من جهةٍ أخرى.

-كشف البحث آلياتٍ عِدّة تمكّن الإمام الحسن (عليه السلام) من إدارتها في بناء خطابه الرسالي، من شأنها ترصين حججه من جهة، وكسب خطابه مزيدًا من الإقناع الذي يؤثر في المتلقي.

-أوضح البحث أنَّ أكثر هذه التقانات الخطابية لا يمكن فصلها في الخطبة الواحدة، فقد تجد في النص الواحد أكثر من تقانة، وهذا يعكس ثراء الخطاب الحسني بكلِّ ما من شأنه تقوية الجانب الحجاجي فيه.

-أبان البحثُ أنَّ توظيفَ الإمام (عليه السلام) لتلك التقانات الخطابية لم يكن لغايةٍ نفعيّةٍ شخصيّةٍ، بل لأجل إظهار الحقائق وجلائها عن أذهان العامّة من الناس ممّن تأثّروا بالسيلِ الإعلامي الجارف للسلطة الأمويّة القائمة على تشويه صورة الدين من خلال الطعن برموزه الأصلاء، فما كان للإمام من بُدٍّ إلا ويُبدّد تلك الحوالك المُظلمات من تُرّهاتِ أقاويلهم عبر خطابه الشريف.

-أظهر البحث بدهيةً حاول الآخر طمسها وجحدها في أئمة أهل البيت (عليه السلام) وهي قوّة حافظتهم وعدم طروء الخلط أو النسيان مهما تعرّضوا لضغوط أو مضايقات، ومنها استشهاده بالقرآن الكريم، والشعر العربي للخصوم، مُستشهدين به في مقامٍ يستدعي ذلك الاستشهاد.

-تعرّض البحث إلى جُملةٍ من أساليب الإقناع في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) مُبيّنًا انسجامها ودقّة اختيار أفانينها في مضامين خطاباته الشريفة، إذ المقامُ الذي يكون فيه المرسِل والمتلقّي يمثّل المعيار الأساس في تحديد استعمال أسلوب من دون أسلوب آخر، وهذا عينُ ما تُركّز البلاغةُ عليه، حين تجعل مطابقة الكلام لمقتضى الحال معيارًا في وصف خطابٍ ببليغ أو ليس بليغًا.

-مثّل خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) أنموذجًا رائعًا من النماذج العربية التي تنوّعت فيها الأساليب البلاغية، مع اغتنائها بالمضامين الفكرية والأخلاقية، فالشكل والمضمون فيها على حدّ سواء.

الهوامش:

(١) المعارف، ابن قتيبة الدينوري: ١٣٢، وهو من الأحاديث المشهورة، على الرغم من أنّ علماء الحديث لم يوثقوه، فقد وصفه محمد طاهر الهندي (ت: ٩٨٦ هـ) بأن مَعْنَاهُ صَحِيح وَلَكِن لَا أصل لَهُ، ينظر: تذكرة الموضوعات: ٨٧، واتفق معه آخرون، ينظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، علي بن سلطان محمد الهروي: ١١٧ .

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي: ١٧/ ١٥٦ .
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: ٦/ ١١٢ .
(٤) البيان في تفسير القرآن، الخوئي: ٨٨ – ٨٩ .
(٥) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٢/ ١٦٩ .
(٦) لواعح الأشجان في مقتل الحسين (A)، السيد محسن الأمين العاملي: ١٧٩ .
(٧) كلمة الإمام الحسن (عليه السلام)، حسن الحسيني الشيرازي: ١٢ – ١٣ .
(٨) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري: ١/ ١٤١ .
(٩) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٨ .
(١٠) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: ٤/ ١٠٤ .
(١١) شرف المصطفى، النيسابوري (ت: ٤٠٧هـ)، دار البشائر الإسلامية – مكة، ط١، ١٤٢٤ هـ: ٥/ ٣٠٤ . جابلق: مدينة بأقصى المغرب وجابرس: مدينة بأقصى المشرق.
(١٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصبهاني: ٦٠ .
(١٣) ينظر: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة: ٧١ .
(١٤) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب: اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٣٦٣.
(١٥) ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس: ٩٤ .
(١٦) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: ٢٠ .
(١٧) الحجاج في النص القرآني – سورة الأنبياء أنموذجا، إيمان درنوني، رسالة ماجستير: ١٠٠ .
(١٨) اللغة والحجاج: ٢١ .
(١٩) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت: ١/ ٢٩٣ .
(٢٠) ينظر: المنطق، محمد رضا المظفر: ٣٤٠ .
(٢١) ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: ٣/ ١٣٥، حديث رقم ٢٤٧٤ .
(٢٢) نهج البلاغة: ٣/ ٥٧ .
(٢٣) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري: ٢٦ .
(٢٤) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢١٣ هـ)، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، (د. ت): ١/ ٢١٦ .

* رأى بعض الباحثين أنّ وصف ما كان بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية يعدّ هدنةً، وبعضهم رأى أنْ يصفها بالسلم، والباحث يذهب إلى أنّ وصفها بالصلح هو الثابت والأقرب؛ لكثرة ورود هذا الوصف في كتب الفريقين، ولأنّ وصفه بالصلح لا يمثّل مثلبةً في حقّ الإمام الحسن (عليه السلام) واستسلامًا، وإن كان هذا

الوصف يقدح في حقّ الإمام (عليه السلام) لكان (صلح الحديبية) الذي عقده الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع الكفار قادحًا بشخصه وموقفه أيضًا.

(٢٥) الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ١٣١ – ١٣٢. والصواب في قوله: يمكن اعتبارها : يمكن عدّها.

(٢٦) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ٩ .

(٢٧) سورة الأنفال، من الآية: ٤٦ .

(٢٨) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٢٩٣ .

(٢٩) ينظر: صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٣ رقم الحديث: ٢٤٠٨، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٦٢ رقم الحديث: ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨، وسنن الدارمي:٢/٤٣١، وسنن البيهقي:٢/ ١٤٨،ومسند أحمد ١٤: ٣ و١٧ و٢٦ و٥٩ و ٣٦٦:٤ و ٣٧١

(٣٠) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ١٧ .

(٣١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م: ١٧/ ١٧٠ رقم الحديث (١١١٠٤)

(٣٢) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ١٠٣ ، ق ٤٦ .

(٣٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ٢٣، وتنظر الأبيات في ديوان معاوية بن أبي سفيان: ٩٢ . وقد حاول محقق الديوان – لأسباب معروفة– نفي هذه الأبيات ويراه من صنع الرواة، وأن الشعر مصنوع ومنحول لمعاوية. ينظر: المصدر نفسه: ٩٢.

(٣٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ٢٧. ولم أعثر له على ديوان فأخرج الأبيات منها.

(٣٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٥١ . وفيه ((أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط من بني أمية أخو عثمان بن عفان– رضي الله عنه– من أمه قال لعلي بن أبي طالب– رضي الله عنه–: اسكت فإنك صبي، وأنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأكثر حشوا في الكتيبة منك. قال له علي– عليه السلام–: اسكت فأنت فاسق. فأنزل الله– جل ذكره–: «أَفَمَنْ كان مؤمنا» يعني عليا–عليه السلام كَمَنْ كانَ فاسِقاً يعنى الوليد لا يَسْتَوُونَ))

(٣٦) بحار الأنوار: ٤٤/ ٩٢ نقلا عن أمالي الصدوق عن أبي مخنف لوط بن يحيى وغير واحد من العلماء. والأبيات تنسب لحسان بن ثابت.

(٣٧) المستصفى، الغزالي: ٢٦٣ .

(٣٨) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة: ٨٨ .

(٣٩) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٣٢٥ .

(٤٠) الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: ٩٣ .

(٤١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٢٩٤ .

(٤٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٢٩٤ .

(٤٣) ينظر: المنطق: ٢٥١ .

(٤٤) Perilman, traite de largumentation p: 50 نقلا عن عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير: ٩١ .

(٤٥) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري: ٨٢ .

(٤٦) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ٧ .

(٤٧) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٤٣١ .

(٤٨) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ١٣ .

(٤٩) الحجاج في النص القرآني: ٧٨ .

(٥٠) المنطق، المظفر: ١/ ٨٩ .

(٥١) ينظر: الإعلام، الزركلي: ٧/ ٢٦١ .

(٥٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ١٧ .

(٥٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٧ .

(٥٤) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ١٥ .

(٥٥) سورة الشورى، من الآية: ٢٣ .

(٥٦) المصدر نفسه: ٢/ ٨ .

(٥٧)جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ٨ .

(٥٨) معترك الأقران، السيوطي: ١/ ٢٨٢ .

(٥٩) ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس: ٥٧ – ٦٧ .

(٦٠)الحجاج أصوله ومنطلقاته،ضمن كتاب: اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٣٣٨.

(٦١) العقد الفريد: ٥/ ٩٨ .

(٦٢) ينظر: وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري: ٥٤٢ .

(٦٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٣٢٥ .

(٦٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ٢/ ٦٤ .

(٦٥) ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري: مادة (رج ح) ، ولسان العرب، لابن منظور: مادة (رج ح).

(٦٦) تهذيب اللغة: مادة(ر ج ح).

(٦٧) معجم مقاييس اللغة: مادة (ر ج ح) .

(٦٨) التعريفات: ٤١ .

(٦٩) الترجيح النحوي في البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي، محسن حسين علي: ١ (أطروحة دكتوراه).

(٧٠) ينظر:المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت:١٠٧.

(٧١) الترجيح النحوي في البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي: ١ .

(٧٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ١٦ . وقد ذكرت المصادر أنّ قائل هذا الوصف – يا مذلّ المؤمنين– هو سليمان بن صُرَد الخزاعي، ينظر: المصدر نفسه:٢/ ١٥، وفي رواية أخرى أنه سيفان بن ليلى المكنّى بأبي عامر، ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري:٢٠/ ٢٣٠ .

(٧٣) خلاصة معرفية – حوار مع سماحة آية الله الشيخ محمد السند: ٢/ ١١٢ .

(٧٤) سورة المنافقون، من الآية: ٨ .

(٧٥) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠/ ٢٣٠ .

(٧٦) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ١/ ٢٩٣ .

(٧٧) المصدر نفسه: ١/ ٣٩٢ .

(٧٨) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: ٢/ ١٦ .

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، علي بن سلطان محمد الهروي (ت: ١٠١٤ هـ)، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

الأعلام، خير الدين الزِّرِكْلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢١٣ هـ)، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، (د. ت).

أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ط١، كلية الآداب – منوبة، د.ت.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١ هـ)، تحقيق : يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، منشورات دار العلم للإمام السيد الخوئي، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٨م.

تذكرة الموضوعات، محمد طاهر الهندي (ت: ٩٨٦ هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، ط١، ١٣٤٣هـ.

الترجيح النحوي في البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، محسن حسين علي، (أطروحة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١م.

التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، إشراف: محمد عوض مرعب، علَّق عليه: عمر سلامي، وعبد الكريم حامد، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بـ(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل – بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت–لبنان، ط٤، د.ت.

الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة، جامعة الحاج لخضر – باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٠م.

الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

الحجاج في النص القرآني – سورة الأنبياء أنموذجا، إيمان درنوني، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر – باتنة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٣م.

خلاصة معرفية – حوار مع سماحة آية الله الشيخ محمد السند، إعداد وتحقيق: إبراهيم حسين البغدادي، سلسلة الحوارات الفكرية، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٦، ٢٠١١م.

ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمعه وحققه: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

ديوان معاوية بن أبي سفيان، جمعه وحققه وشرحه: د. فاروق أسيلم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقبق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، (ت: ٤٠٧هـ)، دار البشائر الإسلامية – مكة، ط١، ١٤٢٤ هـ.

العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

عندما نتواصل نغير – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م.

في بلاغة الخطاب الإقناعي – مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.

كلمة الإمام الحسن (عليه السلام)، آية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي، موسوعة الكلمة (٧)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

لسان العرب، جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، (د.ت).

اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.

لواعح الأشجان في مقتل الحسين (عليه السلام)، السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق: حسن الأمين، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

المعارف، ابن قتيبة الدينوري (ن: ٢٧٦ هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

المنطق، محمد رضا المظفر، انتشارات اسماعيليان، قم، ط١٢، ١٤٢٥هـ.

النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، د.ت.

نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ.

نهج البلاغة، شرح الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د.ت.

وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت: ٢١٣ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.